# السَّعَادَةُ
# مَفْهُومُهَا وَأَنواعُهَا وَسُبُلُ تَحْقِيقِهَا

## ( دِرَاسَة مَوْضُوعِيَّة فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ )

إِعْدادُ:

د. محمد عبدالرحمن جعفر

الأستاذ المساعد بكلّيّة التّربيّة في جامعة حائل

## المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين البر الرّحيم، الذي أنزل القرآن الكريم؛ لسعادة الإنسان، في أحسن بيان وأكمل نظام، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيَّد الأنام، الذي حقق الله على يديه أسباب السعادة الحقيقية، والعيشة الهنيئة، صلى الله عليه وعلى أهله وصحبه البررة الكرام، وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فإنَّ السعادةَ هدفٌ منشود، ومقصدٌ محمود، وغايةُ كل مولود، يسعى لتحصيلها جميع الخلق –المؤمن والكافر والبر والفاجر– فإنَّ كلَّ إنسان يعيش على وجه الأرض يحرص ويجتهد لإسعاد نفسه، ودفع البؤس والشقاء عنها، ولكنَّ الذين يسلكون طريق السعادة الحقة هم أقل القليل، ولقد اجتهد الكُتَّاب قديماً وحديثاً –على اختلاف ثقافاتهم وتعدد مشاربهم– في بيان سبل جلب السعادة، ودفع الهموم والغموم والتعاسة؛ ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها في كتاباته، يعرض من خلالها وجهة نظره وعصارة تجاربه وأفكاره في الحياة.

إنَّ الذين يقصدون السعادة الحقيقية يخطئون طريقها في الغالب، والتي يصل إليها أكثرهم سعادة ناقصة، أو هي ضربٌ من الخيال، أشبه ما تكون بالمسكنات؛ يتناولها المريض فيشعر بالراحةِ من الألم، حتى إذا ذهب تأثيرها رجعت إليه الآلام والأحزان من جديد.

والسبب أنَّ أولئك يغفلون أصل الأصول في جلب السعادة الحقيقية، ألا وهو الإيمان بالله عز وجل والاستسلام لشرعه؛ فذلك مقبض السعادة وطريقها الصحيح، فلا يجد السعادة الحقيقية الدائمة الأبدية إلا من آمن بالله ربًا

وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً رسولاً، فتلك هي سعادة الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) .

وهذا البحث المتواضع يهدي إلى حقيقة السعادة في الدنيا والآخرة ويبيَّن بإذن الله طريقها الميسور، ومفتاحها المأمول، وبيتها المعمور؛ ليدخل طالبوها في كنفها، ويتقلبوا في أرجائها، فيفوزوا بعطائها، وينعموا بنوالها.

لقد اطلعت على العديد من الكتابات في السعادة قديماً وحديثاً، فوقفت على عجائب أسرارها ومكنوناتها، واجتهدت من خلال هذا البحث في تحقيقها، وجمع ثمارها المتناثرة في بطون الكتب وثنايا المقالات، حتى تسهل معرفتها والعمل بها لكل مسلم ينشد السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، لا سيَّما ونحن نعيش في زمن كثرت فيه المشكلات النفسية، والانحرافات المجتمعية، وسائر منقصات السعادة المعنوية والحسية.

## أهمية الموضوع :

أولًا: الدعوة المتكررة في القرآن الكريم لإدراك السعادة، والتخلص من الشقاء.

ثانيًا: التعلق المباشر بحياة الناس ومشكلاتهم.

ثالثًا: الانتشار الواسع للمشكلات النفسية ومنقصات السعادة الروحية في واقع الأمة.

رابعًا: تطلع جميع الخلق للوصول إلى السعادة.

خامسًا: حاجة الموضوع لمزيد من التأصيل العلمي.

سادسًا: الاهتمام بالحياة الآخرة، حيث السعادة الأبدية.

سابعًا: ربط الأمة المسلمة بمصدر عزها (كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم).

## أسباب اختيار الموضوع:

أولًا: تبيين حقيقة السعادة من خلال القرآن الكريم.

ثانيًا: إدراك الفهم الصحيح للسعادة وأنواعها وأسباب تحقيقها.

ثالثًا: الإحساس بالمشكلات المانعة للسعادة وكثرة الهموم والأحزان المنتشرة في واقع حياة الناس.

رابعًا: نشر التربية الإيمانية وتزكية النفس في المجتمع.

خامسًا: الإسهام في تصحيح مسار الطب النفسي.

سادسًا: توجيه المجتمع إلى التزام سبل السعادة.

## أهداف الموضوع:

أولًا: الوقوف على حقيقة السعادة وتيسير الوصول إليها.

ثانيًا: الاستمساك بعقيدة التوحيد، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم للوصول إلى السعادة الحقيقية.

ثالثًا: معرفة سبل الشقاء والبعد عن كل ما يعكر صفو الحياة.

رابعًا: التخلص من قيود الذل وعدم الانكسار أمام ابتلاءات الدنيا بالنظرة الإيجابية للحياة.

**حدود الدراسة:**

**حدود هذه الدراسة تنحصر في تعريف السعادة ومفهومها الحقيقي، وبيان أهم مسبباتها، وذلك من خلال دراسة موضوعية على ضوء القرآن الكريم، ولا تشمل الدراسة استقصاء جميع سبل السعادة، بل اختار الباحث من أهمها؛ ليبرهن من خلالها على أثرها في تحقيق السعادة؛ ولِيفتح الباب أمام الباحثين لدراسة سبل السعادة الأخرى، ولعله يتيسر لي أو لغيري طرح بقية سبلها في بحث آخر؛ ليفيد بها الناس.**

**الجهود السابقة:**

**الحديث عن السعادة الحقيقية مبسوط في كتب الأئمة الأعلام، فقد بيَّن علماء التفسير والحديث السبل الشرعية التي من خلالها تتحقق السعادة الأبدية، وقد كشفوا عن العقبات التي تحول بين العبد وسعادته في الدنيا والآخرة، ومن تلك المصنفات الجامعة: تفسير جامع البيان للطبري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ومعالم التنزيل للبغوي، والدر المنثور للسيوطي، وزاد المسير لابن الجوزي، وغيرهم، رحمهم الله جميعاً.**

**وتناول بعض جوانب هذا الموضوع شيخ الإسلام ابن تيمية في: مجموع الفتاوى والعبودية، وابن القيم في: مفتاح دار السعادة ومدارج السالكين والروح، وطريق الهجرتين وباب السعادتين، وللشيخ السعدي رسالة عنوانها: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، وقد اهتم بعض المعاصرين بالكتابة في هذا الموضوع ولكنَّ أكثرهم تناوله من جوانب مخصوصة.**

لم أقف على كتاب تحت عنوان (السعادة مفهومها وأنواعها وسبل تحقيقها دراسة موضوعية في القرآن الكريم) ولكني اطلعت على كتابات عديدة تناولت بعض جوانب هذا الموضوع، من أهمها الآتي:

أولًا: (أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة) للعلامة محمد زكريا الكاندهلوي، تحقيق: سعيد الرحمن الأعظمي، تناول الكاتب أسباب السعادة من خلال ترك المعاصي، والبعد عن المهالك كترك الصلاة، وركوب الكبائر، وتحدث عن بعض كرامات الصحابة، وقد أكثر من الاستدلال بالأحاديث النبوية، ولم تكن دراسته موضوعية من خلال القرآن الكريم، أمَّا دراستي فهي دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم في بيان مفهوم السعادة ومسبباتها.

ثانيًا: كتاب (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة) لابن القيّم، تناول الكتاب عجائب خلق الله في الأرض وفي السماء، وذكر بعض محاسن هذا الدين العظيم، وأسماء الله وصفاته المقتضية لعبوديته، وتحدث عن الشؤم وتناول بعض العقائد المنحرفة وبيَّن فسادها وبطلانها، فالكتاب تناول السعادة من خلال طريق العبودية الصحيحة لربِّ العالمين، أما دراستي فهي دراسة موضوعية لمفهوم السعادة وأنواعها وسبل تحقيقها من خلال القرآن الكريم.

ثالثًا: كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة أصل السعادة في الدنيا والآخرة ونجاة من مضلات الفتن) للدكتور سعيد بن على بن وهف القحطاني، تناول فيه المؤلف أولاً مفهوم الاعتصام بالكتاب والسنة، ثم تحدث عن الهداية بالقرآن والسنة، وحذَّر من الخلاف والشقاق، ثم بيَّن فوائد الاعتصام بالكتاب والسنة،

وأنَّ أصل الخذلان وفساد الدنيا والآخرة في مخالفة الكتاب والسنة، وأخيراً تحدث المؤلف عن الاختلاف والفُرقة وأضرارها، ويظهر أنَّ الكتاب تناول السعادة من خلال الاعتصام بالقرآن والسنة، ولم يتعرض للتفصيل المباشر لحقيقة السعادة وأسبابها، أو سبل المحافظة عليها، وانفردت دراستي ببيان المفهوم الصحيح للسعادة وكيفية الوصول إليها من خلال هدي القرآن الكريم.

رابعًا: كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن القيم، بيَّن فيه الإمام أنَّ للإنسان في كل وقت هجرتين: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاءِ، وصدق الإقبال عليه، والافتقار في كل نفَسٍ إليه، وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه، وعلى الإنسان أن يجعل لحظات عمره وقفاً على معرفة ربه، ثمَّ تحدث عن إخلاص القلوب لله والزهد وغنى القلب بالله، ودرجات الافتقار إلى الله، ثم دار الحديث عن وجوب التسليم لأمر الله تعالى والرضا به، وحقيقة التوكل عليه، وعن الصبر ومراتبه، وعن مقامات العباد، وحقيقة المحبة والفرق بين المحبة والشوق، ثم ختم كتابه بمراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم، وبالجملة فإنَّ الكتاب قد تناول السعادة عن طريقٍ غير مباشر، بل من خلال العبودية الصحيحة لله تعالى، كما فعل –رحمه الله– في كتابه: مفتاح دار السعادة، أما دراستي فهي دراسة مباشرة للسعادة وحقيقتها وبيان سبلها، من خلال القرآن الكريم.

خامسًا: كتاب (الطريق إلى السعادة) للأستاذ عيد بطاح الدويهيس، تناول الباحث فيه طريق السعادة من خلال الإيمان بوجود الله، واجتناب الذنوب،

وحذَّر من التأثر بالمفاهيم الغربية الدخيلة على المسلمين، وبيَّن أنَّ العلم سعادة، والجهل شقاء، وأنَّ منبع الشقاء الذنوب، ثمَّ تحدث عن الأسرة السعيدة، وأدوات السعادة، مثل معاتبة النفس، والنظر إلى المبتلى، أمَّا دراستي فدراسة موضوعية من القرآن الكريم، تتعلق بمفهوم السعادة الحقيقية، ومسبباتها.

سادسًا: كتاب (الوصفات الإيمانية للأزمات النفسية) لأبي عبد الله حمزة النايلي، دار الكتاب حول علاج الإيمان لأسباب ضيق الصدر، والهمّ، وقسوة القلب، وذكر من العلاج تحقيق التوحيد، وتدبر القرآن وطلب العلم، وصحبة الأخيار، والتوبة النصوح، واجتناب كثرة الأكل وفضول النظر، وأمّا دراستي فقد تناولت السعادة الحقيقية في دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم.

سابعًا: كتاب (أسباب السعادة) للشيخ عبد العزيز محمد عبد الله السدحان، وهو كتاب قد جمع فيه المؤلف ثلاثة وعشرين سبباً للسعادة، بعضها يعتبر سبباً مباشراً للسعادة، وبعضها أراه غير مباشر، والبعض الآخر لا أعتبره – حسب تقديري – سبباً؛ مثل: السبب السابع الذي سماه: (مجالسة الصالحين) فبعض من يجالِسهم قد لا يسعد؛ فقد جالس المنافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أشقى الناس بمجالستهم، ومثل السبب الثامن: (محاسبة النفس) فليس في محاسبة النفس سعادة، ولكن السعادة تأتي في نتائج تلكم المحاسبة؛ من استقامة على طاعة الله وتوبة نصوح عما فرط فيه العبد، وكذلك السبب الخامس عشر: (مشاركة المسلمين في آلامهم وآمالهم) فكيف تكون المشاركة في الآلام سعادة؟ هذا بالنسبة لما رأيته غير مناسب أن يعد من أسباب السعادة، ولعل للشيخ نظرة أعمق.

وأمَّا الأسباب التي أراها غير مباشرة للسعادة مثل السبب التاسع والعاشر: (برّ الوالدين وصلة الرحم) فقد يعاني الإنسان في بره وصلته فيجد من أقاربه جفاء وغلظة؛ تعكر عليه صفو الحياة، ولكن قد تكون السعادة في العاقبة، وكذلك أرى في السبب الأخير الذي جعله (طلب العلم) فإنَّه لا يخفى على طلاب العلم العناء الذي يجدونه وقت الطلب، مثل الفقر والحاجة والجوع والمرض وعناء الحفظ والاستذكار، والحيرة أحياناً في استيعاب المسائل المعقدة، وغير ذلك كثير، لذلك جعل الله طالب العلم مجاهداً في سبيله، فلا أرى أنَّ هذه أسبابٌ مباشرة للسعادة، ولكنها قد تجلب في مستقبل الأيام العاقبة السعيدة، ولعل المؤلف عدَّها من باب التفاؤل بها؛ لسعادة المستقبل فجزاه الله خيراً، ومعذرة لمقامه السامق، أما دراستي فقد انفردت ببيان المفهوم الصحيح للسعادة وأنواعها وسبل تحقيقها في ضوء القرآن الكريم.

ثامنًا: كتاب (الهداية لأسباب السعادة) للشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله، تحدث الكتاب عن طاعة الله ورسوله وأسباب المغفرة والنجاة، وأسباب النصر على الأعداء، ووسائل حفظ الأمن، والأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان، وأسباب الرزق، ثم تناول الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، والتقوى، وأسباب المحبة، والأسباب التي يندفع بها شر الحاسد عن المحسود، وطريق العلم وأسباب فهم الدروس، والدعوات المستجابة، وأسباب الصبر، وختم كتابه بخلاصة ما تقدم فقال: إنَّ كل ما تقدم من أسباب السعادة، والذي يتضح للقارئ أنَّ الكاتب تناول السعادة من خلال مفهوم التقوى والتعبد لله، وليس بحثه مختصاً بمفهوم وأسباب السعادة المباشرة، وهذا ما كان اهتمامي في هذا البحث.

تاسعًا: كتاب (خطوات إلى السعادة) لإمام الحرم المدني، الدّكتور عبد المحسن بن محمد القاسم – حفظه الله – وتناول الشيخ السعادة من خلال الطريقة المثلي لحفظ القرآن الكريم ومتون أهل العلم، والتوفيق بين مطالب الحياة، وفصَّل في طلب العلم والعمل به والإخلاص فيه، وحسن الظن بالله وسمو الأخلاق، ونحو ذلك، وكانت دراستي موضوعية في بيان مفهوم السعادة وكيفية الوصول إليها من خلال كتاب الله تعالى.

عاشرًا: كتاب (الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة) للشيخ أبي الحسن الندوي، وكان حديثه محصوراً في الواجب نحو الدين والوطن، والعناية بالتربية والتعليم، ومسؤولية العلماء، وهي دراسة لطريق السعادة بالمفهوم العام لما يجب على المسلمين فعله والاهتمام به، وانفردت دراستي ببيان مفهوم السعادة وسبل تحقيقها، في دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم.

الحادي عشر: كتاب (طريق السعادة) للدكتور مقداد يالجن، تناول الكاتب السعادة بعد التقديم الطويل لاتجاهاتها من حيث الروح والمادة والعقل، وناقش ماهية السعادة وشروطها، وتكوين السعادة الاجتماعية، وتنظيم الحياة على ما يحبه الله، أمَّا دراستي فقد انفردت ببيان للسعادة الحقيقية وكيفية وصول الناس إليها، في دراسة موضوعية قرآنية.

وقد كثرت الكتابات في السعادة الزوجية على وجه الخصوص ومن ذلك الكتب الآتية:

**أولًا: كتاب (نصائح ذهبية في السعادة الزوجية) للدكتور بدر عبد الحميد هميسة، تحدث الكتاب عن منقصات السعادة الزوجية، من خلال العناوين الآتية: (لا تغلبنكما التوافه، لا تكثرا من اللوم والعتاب، الكلمة الطيبة صدقة، اجعلا بيتكما بيت السعادة والمرح، لا تناما وأنتما متخاصمين، اطويا صفحات الماضي، لا يذم أحدكما الآخر أمام الآخرين، احذرا الخرس الزوجي، عادات لا تهمل، بين الزوجة والحمو والحماة) ونحو ذلك، أما دراستي فهي دراسة للمفهوم الصحيح للسعادة عموماً – للزوجين ولغيرهما – وبيان أنواعها وسبل الوصول إليها، في دراسة موضوعية من خلال القرآن الكريم.**

**ثانيًا: كتاب (سبل السعادة الزوجية) للشيخ على بن نايف السحود، واهتم ببيان أهم السبل لإسعاد الزوجين، وذلك من خلال خطة مطولة لهما، عرض من خلالها أهم سبل نجاح الحياة الزوجية، وناقش بإطناب بعض العادات التي تسيء للحياة الزوجية سواء كانت بعد أو قبل الزواج.**

**هذه بعض الكتب التي وقفت عليها في موضوعي هذا، وقد انفردت دارستي ببيان السعادة الحقيقية من خلال القرآن الكريم، وتوضيح المفهوم الصحيح لطرق جلبها ومسبباتها، مع بيان أنواعها، وسرد الأدلة على جميع ما ذكر، وذلك على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء السابقين والمعاصرين، وأثبتُ عجز البشر في جلب السعادة عن طريق غير هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الله استمد العون والتوفيق.**

**منهج البحث:**

**سلكتُ في هذا البحث منهج الاستقراء والاستنتاج، المتضمن لاستقصاء المسائل، والاستنباط والتحليل والترجيح والجمع والتحقيق؛ وذلك بجمع النصوص والأقوال في كافة المسائل، واستخراج النتائج والفوائد منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.**

**تقسيم خطّة البحث:**

**اشتملت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وشملت المقدمة أهمية وأسباب وأهداف الموضوع، وحدود الدراسة، والجهود السابقة، ومنهج البحث، وشمل المبحث الأول أربعة مطالب، وشمل المبحث الثاني عشرة مطالب، فجاءت كالآتي:**

**المبحث الأول: السعادة في القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب.**

**المطلب الأول: تعريف السعادة وفيه مسألتان:**

**المسألة الأولى: تعريف السعادة لغة:**

**المسألة الثاني: تعريف السعادة اصطلاحاً.**

**المطلب الثاني: مسميات ومرادفات السعادة في القرآن الكريم.**

**المطلب الثالث: المفهوم الصحيح للسعادة الحقيقية.**

**المطلب الرابع: أنواع السعادة وفيه مسألتان.**

**المسألة الأولى: السعادة الحسية.**

**المسألة الثانية: السعادة المعنوية.**

**المبحث الثاني: سبل تحقيق السعادة المعنوية وفيه عشرة مطالب:**

**المطلب الأول: الإيمان بالله وتحقيق التوحيد.**

**المطلب الثاني: محبة الله تعالى ورسوله والمؤمنين.**

**المطلب الثالث: تحقيق عقيدة الإيمان بالقدر.**

**المطلب الرابع: حسن الخلق.**

**المطلب الخامس: القناعة.**

**المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله وشكره.**

**المطلب السابع: شغل الفراغ وحسن إدارة الوقت.**

**المطلب الثامن: الإحسان إلى الناس واحتساب الأجر.**

**المطلب التاسع: عدم التقليد وتجنب الذيلية.**

**المطلب العاشر: الثناء الحسن لمن أسدى معروفاً.**

**الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات والملخص والفهارس ( فهرست المصادر والمراجع، فهرست الموضوعات).**

# المبحث الأول

# السعادة في القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب

## المطلب الأول: تعريف السعادة وفيه مسألتان:

### المسألة الأولى: التعريف اللغوي:

**السَّعْدُ واليُمن، وَالمُعَاوَنَةُ، والسُّعُودة ضد النُحُوسَة، واسْتَسْعَدَ بِرُؤيَةِ فُلان عَدَّه سَعِيداً، والسَّعَادةُ ضِدُ الّشقَاوَةِ، وأَصْلُ الإِسعَاد والمُسَاعَدَةِ مُتَابَعةُ العَبْدِ أَمرَ رَبِهِ ورِضَاه، ومعنى قوله "لبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ" أَي: أَسعَدَنيَ اللَّهُ إِسعاداً بَعْدَ إِسْعَاد؛ وقِيْلَ: أَي مُسَاعَدة لِأَمرِكَ بَعدَ مُسَاعَدَة [(١)].**

**يظهر من المعنى اللغوي للسعادة معنى المعاونة، ولعل من ذلك تسمية اليد بالساعد؛ لأنها تساعد البدن[(٢)].**

### المسألة الثانية التعريف الاصطلاحي:

**السعادة معاونة الله للإنسان على نيل الخير، ويضادها الشقاوة، وقيل: تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل وتحليتها بها[(٣)].**

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٢١٤/٣، مادة: (سعد)، ن/ دار صادر، بيروت، ط١، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد والنجار٤٣٠/١، ن/ دار الدعوة، ت/ مجمع اللغة العربية، ومختار الصحاح للرازي ١٢٦/١ [سعد]، ن/ مكتبة لبنان ناشرون، ( ١٤١٥هـ)، ت/ محمود خاطر.

(٢) قال الرازي –رحمه الله–: ((سَاعِدَا الإنسان عضداه، وساعدا الطير جناحاه))، انظر: مختار الصحاح ١٢٦/١ [سعد].

(٣) انظر: التعريفات للجرجاني ٢٤٣/١، ن/ دار الكتاب العربي، (١٤٠٥هـ) ت/ إبراهيم الأبياري، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٤٠٤/١ (بتصرف)، ن/ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، (١٤١٠هـ)، ت/ د. محمد رضوان الداية.

**يفهم من هذا التعريف أنَّ الله تعالى هو الذي يعين على اكتساب السعادة، وهو سبحانه المتفضل على خلقه بها، وكذلك يفهم أنَّ السعادة إنَّما تكون لمن يهذِّب نفسه ويجنبها قبائح الأقوال والأفعال، ويزينها بفضائل الخصال التي يحبها واهب السعادة سبحانه وتعالى.**

**وقال ابن تيمية[1] –رحمه الله: ((السعادة هي كمال اللذة والبهجة والسرور الذي يحصل للنفس بما تعلمه من المعارف))[2].**

**وهنا يبين ابن تيمية –رحمه الله– أنَّ السعادة تكون للعلماء، فالنفس حينما تعلم يشعّ فيها العلم نوراً، فتبلغ بعلمها كمال اللذة والسرور والسعادة، ومن فوائد هذا التعريف لشيخ الإسلام؛ العلم بعمق السعادة التي كانت تغمر قلبه.**

**وقال الفيروز آبادي[3] –رحمه الله: ((السعادة معاونة الأُمور الإِلَهية**

---

(١) تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم الخضر ابن تيمية الحراني أبو العباس، ولد سنة ٦٦١هـ، أحد الأعلام، فاقت مؤلفاته الثلاث مائة مجلد، توفي سنة ٧٢٨هـ انظر: أبجد العلوم ١٥٣/٣، تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين الذهبي ١٤٩٦/٤ . ١٤٩٧، ن/ دار إحياء التراث العربي ، بيروت، والدرر الكامنة لابن حجر ١٤٤/١، ن/ دار الهند.

(٢) كتاب الصّفَدِيَة لابن تيمية ص٣٦١، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ)، ت/ محمد حسن إسماعيل.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، ولد بكازرون قرب شيراز، وانتقل إلى العراق، كان مرجع عصره في اللغة، والحديث، والتفسير، من أشهر كتبه، القاموس المحيط، المغانم المطابة في معالم طابة، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وغيرها، كان قوي الحافظة يحفظ كل ليلة مائتي سطر قبل أن ينام، توفي سنة ٨١٧هـ بزبيد، انظر: الأعلام للزركلي ١٤٦/٧، ن/ دار العلم =

للإنسان على نيل الخير، وتضادّها الشَّقاوة))[١].

وبين التعريف اللغوي والاصطلاحي تقارب؛ فكلاهما يؤكد أنَّ السعادة معاونة يلزم منها فرح القلب وهدوء النفس، وإنَّما تكون بفضل الله وعونه؛ ما دام العبد طائعاً لله عاملاً بمرضاته منتهياً عن مغضباته، وهذا يعني أنَّه لا سعادة إلا في طاعة الله.

وبقدر البعد عن الله تكون الشقاوة والتعاسة وحياة الذل والهوان، كما قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٦١) وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٢] –رحمه الله: ((أصل الضنك مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، وبه تعلم أنَّ معنى قوله {مَعِيشَةً ضَنْكاً} أي: عيشاً ضيقاً والعياذ بالله تعالى، ومعنى ذلك أنَّ الله عزّ وجل

---

= للملايين، بيروت، ط٥، (١٩٨٠م).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١١٠/٣، الباب الثالث عشر، (بصيرة في السعد) ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ محمد على النجار.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ولد عام ١٣٠٥هـ بتنبه من موريتانيا، الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وبالحرم النبوي، متبحر في علوم القرآن والأصول وسائر العلوم، من مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة أصول الفقه، ودراسات لآيات الصفات وغيرها، توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ، انظر: كتابه أضواء البيان ١٩/١، ن/ دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، (١٤٢٦هـ).

جعل مع الدين التسليم والقناعة، والتوكّل على الله، والرضا بقسمته، فصاحبه ينفق مما رزقه الله بسماح وسهولة، فيعيش عيشاً هنيئاً))[1].

ولهذا يعيش من ابتعد عن الله تعالى في عذاب وضنك، وضيق وحرج، لبعده عن المنهج الذي وضعه ربّ العالمين، لتسير عليه أنفس البشر، والله هو الذي خلق الأنفس وهو العليم بها، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦).

## المطلب الثاني: مسميات ومرادفات السعادة في القرآن:

لم يرد في القرآن الكريم التصريح بكلمة السعادة، ولكن ورد في سورة هود كلمة سعيد وسعدوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود: ١٠٥ – ١٠٨).

تبين الآيات سعادة الآخرة، وأنَّ من الناس من سَعِد وتنعم برضا الله ودخول الجنة، ومنهم من أشقته أعماله فأوردته النار، وأما في غير هذا الموضع فقد ذكرت السعادة بمسميات مختلفة، ولكنَّ معناها يشير إلى الحياة السعيدة

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٦٨١/٤، ن/ دار الفكر، لبنان (١٤١٥هـ).

الطيبة، ومن تلك الآيات الآتي:

١/ الحياة الطيبة: وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

وعد الله تعالى من آمن به وعمل صالحاً أن يحييه حياة طيبة، قد اختارها الرحمن ورضيها سبحانه لعباده المخلصين، وفي معنى الآية يقول القرطبي[١] –رحمه الله–: ((قيل المقصود بالحياة الطيبة: الرزق الحلال، وقيل: القناعة، وقيل: هي السعادة، وقيل: هي حلاوة الطاعة))[٢]، فالحياة الطيبة في هذه الآية هي السعادة الحقيقية.

٢/ انشراح الصدر: قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥) .

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، القرطبي، مصنف التفسير المشهور بجامع أحكام القرآن، وهو كتاب من أجلّ الكتب في التفسير، وصنف كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، قال عنه الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة إطلاعه، ووفور فضله، توفي سنة ٦٧١هـ، ينظر: طبقات المفسرين لأحمد الأدنروي ١/٢٤٦ . ٢٤٧، ن/ مكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية، ط١ (١٩٩٧م)، ت/ سليمان الخزي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٧٤ (بتصرف)، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٠٥هـ).

**قال ابن عاشور[1] –رحمه الله: (( أي يحس كأنَّ صدره شُرح ووُسع، وذلك لأنَّ تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله ومسرة برضا ربه، واستخفافاً للمصائب والكوارث لجزمه بأنَّه على حق في أمره وأنَّه مثاب على ضره وأنَّه راجٍ رحمة ربه في الدنيا والآخرة، ينشرح صدره بأنَّه ارتفع درجات عن الحالة التي كان عليها حالة الشرك، فشعر بعزة نفسه مرتفعاً عما انكشف له من مهانتها السابقة التي غسلها عنه الإسلام، ثم أصبح يقرأ القرآن وينطق عن الحكمة ويتسم بمكارم الأخلاق، وإذا مسه ضر رجا زواله ولم ييأس من تغيُّر حاله، وأيقن أنَّه مثاب على تحمله وصبره، وإذا مسته نعمة حمد ربه وترقب المزيد، فكان صدره منشرحاً بالإسلام متلقياً الحوادث باستبصار، غير هيَّاب، شجاع القلب عزيز النفس، واللام في (للإسْلامِ) لام العلة؛ أي شرحه لأجل الإسلام، أي لأجل قبوله))[2].**

**وهكذا كان انشراح النفس سعادة يتذوقها المسلم، على اختلاف أحواله وتقلبات حياته، في سرائه وضرائه.**

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، ولد بها سنة ١٢٩٦هـ، عُيّن سنة ١٩٣٢م شيخاً للإسلام مالكياً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة من أشهرها: التحرير والتنوير في التفسير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والوقف وآثاره في الإسلام، وغير ذلك، توفي بتونس سنة ١٣٩٣هـ، انظر الأعلام للزركلي ١٧٤/٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٨٠/٢٣، ن/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (١٩٩٧م) (بتصرف).

**٣/ طمأنينة القلب: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾** (الرعد: ٢٨).

**قال السيوطي[١] –رحمه الله– في تفسير الآية: ((هشت إليه واستأنست به))[٢]، وإنَّما تأنس النفس وتهش إذا سعدت، وقال ابن القيم[٣] –رحمه الله: ((الطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه))[٤].**

**وكذلك قلوب السعداء، دائماً تكون مطمئنة، آمنة، فرحة مسرورة بنعم الله عليها.**

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد السيوط، ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩هـ، تفقه على المذهب الشافعي، نبغ في علوم كثيرة، صنف التصانيف وأكثر من التأليف في مختلف الفنون والعلوم، كتب أكثر من خمسمائة مؤلف، توفى في سنة ٩١١هـ، من مؤلفاته: الدر المنثور، الجامع الصغير في الحديث، المزهر في اللغة، انظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لرضا كحالة ١٢٨/٥ . ١٣١، ن/ مطبعة الترقي، دمشق ، (١٣٧٧هـ).

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦٤٢/٤، ن/ دار الفكر، بيروت، ( ١٩٩٣م).

(٣) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعيّ الدمشقيّ ابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١هـ ، وكان ملازماً لشيخه ابن تيمية، كان كثير العبادة، له عديد من المؤلفات منها: زاد المعاد، التفسير القيم، الطب النبوي، الداء والدواء، الفوائد، مفتاح دار السعادة، طريق الهجرتين وباب السعادتين، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وغيرها كثير، توفي سنة ٧٥١هـ، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٣٠٤/٣، والأعلام للزركلي ٥٦/٦.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٥١٢/٢، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ( ١٣٩٣هـ)، ت/ محمد حامد الفقي.

**٤/ سعة الرزق وبركته: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾** (الأعراف: ٩٦).

**وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾** (المائدة: ٦٦).

**سعة الرزق ووفرته وبركته، نوع من أنواع السعادة التي يفرح بها الناس جميعاً، ويبين الله تعالى في الآيات السابقة أنَّه ينعم على المؤمنين بسعة الأرزاق وصنوف الخيرات والبركات.**

**قال ابن كثير[(١)] –رحمه الله: في تفسير الآية: ((كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض، وعن ابن عباس: {لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ} يعني: لأرسل (السماء) عليهم مدرارًا، {وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} يعني: يخرج من الأرض بركاتها، كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأعراف: ٩٦)، وقيل: {لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } يعني: من غير كَد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء))[(٢)].**

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الحافظ عماد الدين، ولد سنة ٧٠٠هـ، قال الذهبي: إمام محدِّث بارع، أخذ العلوم من الحسين العراقي، ولازم الحافظ المزي وتزوج ابنته، وسمع من ابن تيمية، ولازمه زماناً، صاحب المصنفات، صنف في الحديث والتفسير والسيرة والتاريخ وغيرها، ومن مصنفاته البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، مات سنة ٧٧٤هـ بدمشق، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٢٦٠ . ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٤٨، (بتصرف) ن/ دار طيبة، ط٢، (١٤٢٠هـ)، ت/ سامي محمد سلامة.

وحياة كثير رزقها بلا عناء ولا تعب، وقد رضي الله عن أصحابها، لا شك في سعادة من ظفر بها.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ (البقرة: ٥٨).

وقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ (النحل: ١١٢).

تصف الآيات حياةً ميسورةً واسعة الأرزاق، حيث كان من تمام أمنها، وكمال نعيمها الرزق الرغيد[١] ولا شك أنَّ سعة الرزق نوع من أنواع السعادة.

وقال الطبري[٢] –رحمه الله– في تفسير الآية: ((يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة))[٣]، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦).

وفي هذه الآية يشترط الله تعالى على عباده الاستقامة لإنزال خيرات

(١) قال ابن منظور –رحمه الله–: (تقول: رَغِدَ عيشُهم ورَغُد، بكسر الغين وضمها، وأَرغَد فلان إذا أَصاب عيشاً واسِعَاً، وأَرْغَدَ القوم: أَخْصَبُوا وَصَارُوا فِي عَيشٍ رَغَدٍ، وعِيشَةٌ رَغْدٌ ورَغَدٌ أَي واسعة طيبة) انظر: لسان العرب ٣/١٨٠، مادة (رغد).

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، رأس المفسرين، جمع من العلوم ما لم يسبقه فيه أحد من أهل عصره، ولد بآمل سنة ٢٢٤هـ، وأصله من طبرستان، وله التصانيف العظيمة منها جامع البيان وهو أجل التفاسير، ومنها تهذيب الآثار وتاريخ الأمم وكتاب اختلاف العلماء، وغير ذلك، كان أولاً شافعياً ثم انفرد بمذهب مستقل، ومات سنة ٣٢٠هـ، واجتمع في جنازته خلق لا يحصون، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٤٨ . ٥٠.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١٧/٣٠٩، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢٠هـ)، ت/ محمود شاكر.

**السماء، وإنَّما يحمل المطر الأرزاق، وبسعة الرزق وبسطه مع الإيمان والطاعة تكتمل سعادة العباد.**

**وقال البغوي[1] –رحمه الله– عندما فسَّر الآية: ((يعني ماءً كثيرًا، وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين، والمعنى: لو آمنوا لوسّعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالاً كثيرًا وعيشًا رغدًا، وضرب الماء الغدق مثلاً لأنَّ الخير والرزق كله في المطر))[2].**

**ولا يستغني العباد عن نزول الأمطار وبركات السماء، وقد جعل الله من الماء كل شيء حي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠) وكلما توسع رزق الله وتبارك؛ تنعم العباد بحياة مستقرة، وتلك سعادة يحتاجها جميع الخلق.**

**٥/ زيادة القوة والأموال والأولاد:**

**قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)، وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ**

(١) الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدين، ولد ببغ (من قرى خراسان) سنة ٤٣٦هـ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، وله من التصانيف: معالم التنزيل في التفسير، وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي، وشرح السنة، والمصابيح، والجمع بين الصحيحين، والتهذيب في الفقه، مات سنة ٥١٦هـ، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/١٥٨ . ١٦٠.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٨/٢٤١، ن/ دار طيبة، ط٤، ( ١٤١٧هـ)، ت/ محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم الحرش.

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح: ١٠ – ١٢).

**وهذا إسعاد آخر للعباد يتمثل في زيادة القوة والأموال والأولاد، وفي الآية دليل على أنَّ الاستغفار والتوبة ولزوم طاعة الله، سبب لنزول الأمطار وزيادة القوة وسعة الأرزاق، وكل ذلك من أنواع السعادة.**

**٦/ صلاح البال:**

**قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾** (محمد: ٢)، **وقيل في معنى الآية ((أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم))[(١)]، وبهذا تكون الآية قد جمعت جميع ركائز السعادة، وسعيد من أصلح الله باله.**

**تلك من مسميات ومرادفات السعادة التي وردت في القرآن الكريم وتضمن معناها نوعاً من أنواع السعادة.**

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٧٨٤، ن/ مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٢٠هـ) ت/عبد الرحمن اللويحق.

## المطلب الثالث: المفهوم الصحيح للسعادة الحقيقية

**بعد التعريف اللغوي والاصطلاحي وبيان مسميات ومرادفات السعادة في القرآن الكريم يجب أن يعلم أنَّ أوَّل خطوة صحيحة نحو فهم السعادة الحقيقية هي العلم بأنَّها بيد الله وحده لا شريك له؛ هو المالك لزمامها وحده، يصرِّفها كيف شاء جلَّ وعلا، هو الذي يَمُنُّ بها على من يشاء من عباده، فإذا عُلِم ذلك لزم الثبات على دعائه وطلبها منه، والاستعانة به وحده سبحانه لا شريك له.**

**إنَّ السعادة الحقيقية شعورٌ نفسي ينبع من أعماق الإنسان؛ يتمثل في طمأنينة قلبه، وانشراح صدره ليبعث الإشراق في روحه، ووجهه، وفكره، وسائر جوارحه، وفي كل ما يشاهده من حوله، وذلك لاستقامة السلوك الظاهر والباطن المدفوع بقوة الإيمان والاهتداء بالقرآن.**

**قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾** (الأنعام: ٨٢).

**قال الطبري –رحمه الله: ((هم المصيبون سبيل الرشاد السالكون طريق النجاة))[1].**

**وقال الشيخ أبو بكر الجزائري[2] – حفظه الله: ((معنى {لهم الأمن} أي**

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري١١/٥٠٤.

(٢) أبو بكر بن موسى بن عبد القادر بن جابر ولد بالجزائر عام ١٣٤٢هـ، المدرس بالمسجد النبوي، ودرَّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، من مؤلفاته: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وعقيدة المؤمن، ومنهاج المسلم، وهذا الحبيب محمد ﷺ، ونداء الرحمن لأهل الإيمان، وغيرها، وله ما يزيد عن مائة رسالة، انظر كتاب: النجاة النجاة يا عباد الله ص٤٥، ن/ مطبعة الحميضي.

**في الدنيا والآخرة {وهم مهتدون} في حياتهم إلى طريق سعادتهم وكمالهم، وهو الإسلام الصحيح))[١].**

**جعل الله لهؤلاء الأمن، والاهتداء والسعادة في هذه الدنيا، فأدركوا الأمن والسرور، ولا ريب أنَّ الأمن سيّد النعم، فمن ظفر به وملكه في قلبه وحافظ عليه بصدق التوكل على الله والاستقامة على هداه، فقد ظفر بالسعادة.**

**ليس من مفهوم السعادة الصحيح الخلو من الآلام والابتلاءات؛ فكما أنَّ التعيس الشقي قد يضحك ويتبسم، كذلك قد يجد السعيد بلاء واختباراً من ربه سبحانه وتعالى فيرضى ويسلم أمره لله تعالى؛ فإنَّ السعيد من يسعد بطاعة ربه، ويأنس بقربه، وإن كان فقيراً أو مريضاً، أو معدماً؛ فقد كان أسعد الخلق وسيِّدهم يجوع ولا يشبع أياماً، ومن الأدلة على ذلك الآتي:**

**عنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ))[٢].**

**وعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنهما– أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: ((وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثُمَّ الْهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ، قَالَ قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ**

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري ٨٤/٢، ن/ مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط٥، (١٤٢٤هـ).

(٢) صحيح مسلم ٢١٧/٨، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث [٧٦٣٣]، ن/ دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت.

**صلى الله عليه وسلم جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ،(١) فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ))(٢)**

**هكذا كان حال أسعد بيت عرفته الأرض وعاش في دنياها، فليس من لوازم السعادة الحقيقية ومفهومها الصحيح التنعم بالمشتهيات من أنواع المأكولات، وصنوف المشروبات، والإسراف فيما تشتهيه النفس، ومما هو معلوم أنَّ شهوات النفس في هذه الدنيا ليست لها نهاية، والسعيد من رضي بقسمة الله له واكتفى بالحلال عن الحرام، ولم تتجاوز نفسه حدود ما أبيح لها.**

**إنَّ السعادة هي صفاء القلب، وإشراق النفس، وجمال الروح، ونقاء الوجدان، وسلامة الصدر، هي تلكم الهبة الربانية، والمنحة الإلهية التي يهبها الله لمن شاء من عباده جزاءَ أعمالهم الجليلة وأخلاقهم النبيلة، السعادة تلك الكلمة التي تبعث الراحة النفسية، وتزكي النفوس الأبية، وتحقق الأمن والسكينة والرضا والطمأنينة.**

**إنَّها الرضا والقناعة، وعدم الجزع والتسخط، وليست الترف والدعة**

(١) جمع منيحة، من المنح وهو العطاء، وهي الشاة أو الناقة التي تعطى للغير ليحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها على صاحبها، وقد تكون عطية مؤبدة بعينها ومنافعها كالهبة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٨٥، باب: الباء مع الكاف، ن/ المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ)، ت/ طاهر أحمد ومحمود الطناجي.

(٢) صحيح البخاري ٢/٩٠٧، كتاب: الهبة وفضلها، باب: فضلها والتحريض عليها، رقم الحديث [٢٤٢٨]، ن/ دار ابن كثير اليمامة (١٤٠٧هـ) ت/ د. مصطفى ديب، صحيح مسلم ٨/٢١٨، (واللفظ له)، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث [٧٦٤٢].

**والإسراف والتبذير، هي شكرٌ عند النعماء وصبرٌ عند البلاء، كل ذلك من مفهوم السعادة الحقيقية.**

**ومما رُوي عن ابن أدهم[١] أنّه أكل مع أصحابه كسراً يابسةً، ثمَّ قام إلى نهرٍ فشرب منه بكفه، ثم حمد الله وقال: ((لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا عليه بالسيوف، فقال بعض أصحابه: يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنعيم فأخطئوا الطريق المستقيم، فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الشعر ثم أنشد:**

**أهـل المحبـة قـوم شـأنهم عجـب سرورهـــم أبـــد وعيشهـــم طـــرب**

**العـيش عيشــهم والملــك ملكهــم ما الناسُ إلا هُمُ بانوا أو اقتربوا[٢].**

**إنَّ السعادة كلمة جامعة لكل مفهوم يضم الفرح والابتهاج والسرور، وحينما تنطق هذه الكلمة ربما يختلف الناس في مفهومها؛ فكلٌ حسب حاجته، فمن الناس من يرى سعادته في نزهةٍ برية، ومنهم من يرى سعادته في أرصدةٍ**

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي، وقيل التميمى، كنيته أبو إسحاق، كان زاهداً سكن الشام، من أتباع التابعين، من شيوخه سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، ومالك بن دينار، وغيرهم، توفي سنة ١٦٢هـ بسوقين . حصن ببلاد الروم . روى له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، قال عنه النسائي –رحمه الله– : ((ثقة مأمون))، وقال ابن حجر –رحمه الله–: ((صدوق)). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٨٨/١، تهذيب الكمال ليوسف المزي ٢٧/٢، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٠٠هـ) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢/١، ن/ دار صادر، بيروت، ت/ إحسان عباس.

(٢) انظر: شرح حديث لبيك لابن رجب ٦١/١ ن/ دار عالم الفوائد، مكة ( ١٤١٧هـ)، وفيض القدير للمناوي ١٧٤/٢.

**مالية، أو زعامةٍ دنيوية، أو قصورٍ محمية، أو كسوةٍ شامية، أو وَجَباتٍ شهية، أو زوجة وضيئة ثرية، أو في حريَّة بهيمية، أو في غير ذلك من متع الدنيا الزائلة.**

**وكذلك المريض يرى سعادته في الشفاء، والمدين يرى سعادته في قضاء دينه، وصاحب الضيق والكربة يرى سعادته في إيجاد مخرجٍ لضيقه وكربته، والفقير يرى سعادته في الغنى، والعقيم يرى سعادته في الذرية، وهكذا يتخبط الناس في مفهوم السعادة، ولكن السؤال الأهم هل في نيل تلك الرغبات تكمن السعادة؟ وهل كل من ملكها استحوذ على السعادة[1]، ولعل هذا البحث، سيسهم في الإجابة عن هذا السؤال.**

**وخلاصة القول في مفهوم السعادة الحقيقية أنها ذلك الشعور المستمر بالسرور والغبطة، والطمأنينة، والأريحية، والرضا والبهجة، وهذا الشعور السعيد**

(١) من الذين يتخبطون في مفهوم السعادة من ذكروا في كتاب الأستاذين: روبر ماجكوسلي ومورفي لانجلز، من جامعة ميتشجان الأميركية في كتابهما «السعادة تحت أمرك» يقولان: ((إنهما أجريا تجارب على عشرة آلاف زوج وزوجة وشبان وشابات في مختلف المهن والجامعات، واكتشف الأستاذان أنّ أكثر الناس لا يعرفون معنى السعادة، وأنهم يخلطون بينها وبين النوم الطويل، أو الأكل اللذيذ، أو دوخة المخدرات أو الزواج، أو الحياة بعد الزواج، وقد اندهش معظم هؤلاء الناس لبساطة القضية، يقول الأستاذان: إنَّهما وجدا صعوبة شديدة في إقناع معظم هؤلاء الناس بأنَّ السعادة ممكنة، وأنَّها عند أطراف الأصابع، بشرط أن تكون هناك أصابع قادرة على أن تمتد وتنثني، وأن يؤمن الإنسان بأن كل شيء ممكن)) وأقول: ((ليس الذين أجريت عليهم التجارب ولا من أجراها قد علموا معنى السعادة، إلا إذا قصد الأستاذان بالأصابع أصابعٌ تمتد إلى الله وتنقبض عما حرم الله كما شرع)).

يأتي نتيجة للإحساس الدائم بالإيمان العميق في النفس، وصدق التعامل مع الله ومع خلقه، والأنس بذكره وشكره وحسن عبادته، والطمع في جنته ورحمته وفضله وتوفيقه، والخوف من عقابه، وأنواع عذابه.

فليست السعادة تتمثل في التنعم الجسدي بالدنيا فحسب، فما أكثر المتنعمين وما أقل سعادتهم؛ وذلك لأنَّ المتأمل في النفس البشرية يجد أنَّ الله تعالى قد خلقها من عنصرين متكاملين: (بدن وروح) ولكل عنصر غذاؤه وحاجته الخاصة به، وكلا العنصرين مرتبطين ببعضهما بعضاً؛ لأنَّهما يكوِّنان بذلك العنصر البشري، أمَّا البدن فغذاؤه أكلٌ وشربٌ وراحةٌ ونومٌ ومتع، وأمَّا الروح فغذاؤها في حسن التعبد لله، وذكره وشكره، والإنابة إليه، والخضوع لعظمته جلَّ وعلا، ومن فقد غذاء الروح فإنَّه يعيش كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد: ١٢)، وقال عز وجل: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣).

ومن الأدلة المحسوسة على حاجة الروح للغذاء ما هو معلوم من ارتفاع نسبة الانتحار في بلاد غير المسلمين، على الرُغم من توفر كل مقومات الحياة المادية لهم، وذلك لسبب واحد؛ ألا وهو أنَّهم اهتموا بأبدانهم، فأسرفوا في متعها من كلِ جانب، ونسوا غذاء الروح التي هي صنو الجسد، ولا تنفك عنه بحالٍ من الأحوال، فكانت النتيجة أن كرهوا الحياة الدنيا بأكملها، فخرجوا منها، وطلبوا الموت واستعجلوه على أبشع صوره، وأنكر ضروبه، وهذا دليل ملموس مشاهد على أنَّ السعادة ليست في غذاء البدن وتنعمه بالشهوات فحسب.

## المطلب الرابع: أنواع السعادة وفيه مسألتان:

### المسألة الأولى: السعادة الحسية:

**الحسُّ لغة: من حسَّ بالشيء يَحُسُّ حَسّاً وحِسّاً وحَسِيساً، وأَحَسَّ به وأَحَسَّه يعني شعر به[1].**

**الحسُّ اصطلاحاً: القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمسة الظاهرة كالجواسيس لها فتطلع عليها النفس فتدركها، كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار[2].**

**يتفق التعريفان على أنَّ الحس هو الشعور بالشيء وإدراكه بإحدى الحواس الخمس، وهذا الذي يعنينا في هذه المسألة؛ سعادة يحس بها الإنسان بإحدى حواسه الظاهرة لا الباطنة.**

**إنَّ من المفهوم الصحيح للسعادة أنها تنقسم إلى قسمين، سعادة حسيّة وأخرى معنوية؛ وقد علم ذلك من خلال التتبع لنصوص الشرع، ثمَّ بالنظر الصحيح لواقع الناس، وهذا ما سأبينه في هذا المطلب بإذن الله وعونه.**

**إنَّ السعادة الحسية سعادة جزئية تمر بالإنسان في ظروف معينة، وحالات مخصوصة تطول أو تقصر؛ تتمثل في إسعاد الجسد، من توفير المشرب والمأكل، والمسكن والمنكح، والمركب والملبس، وما يتبع ذلك من حاجات الحياة وكل ما يُتَنعم به من الملاذ والمشتهيات، وهذه السعادة يسعى إليها جميع الناس المؤمن منهم والكافر، ولا شك أنَّ جميع الخلق يحتاجها**

(١) لسان العرب ٤٩/٦، مادة: (حس).

(٢) التعريفات للجرجاني ١١٧/١.

ويفتقر إليها، ويستمتع بها، وقد بيَّن القرآن الكريم أنَّ أنفس البشر عموماً – على اختلاف أشكالهم ومعتقداتهم– قد جبلت على حب ما يتنعم به ويشتهى.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران: ١٤).

قال الشوكاني[(١)] – رحمه الله: ((الشهوات جمع شهوة وهي نزوع النفس إلى ما تريده، والمراد هنا المشتهيات، عبَّر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مرغوباً فيها، أو تحقيراً لها، لكونها مسترذلة، ووجه تزيين الله سبحانه لها ابتلاء عباده، وتبين الآية أنَّ ذلك المذكور يتمتع به ثم يذهب ولا يبقى، وفيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة))[(٢)].

ومن الأدلة على هذا النوع من السعادة –أعني السعادة الحسية– حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَربع مِنْ السَّعَادَة: المَرأةُ الصَّالحة، والمَسكنُ الواسعُ، والجارُ الصَّالحُ، والمَركبُ الهنيء، وَأَرْبَعُ مِنْ الشَّقاوَة: الجارُ السُوءُ،

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني الإمام العلامة، ولد سنة ١١٧٢هـ، له عدة مؤلفات منها: فتح القدير في التفسير، ونيل الأوطار، وتحفة الذاكرين، والسيل الجرار، والنبوات، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ ، انظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق القنوجي ٢٠١/٣، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٧٨م)، ت/ عبد الجبار زكار، والأعلام للزركلي ٢٩٨/٦ ، وفتح القدير ٤/١ . ٨، ن/ دار الفكر، بيروت.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ٤٨٧/١ (بتصرف يسير).

**والمَرأةُ السُوءُ، والمَسكنُ الضَّيقُ، والمَركبُ السوءُ))**[1].

**ومما يدل على أنَّ الحديث يشير إلى السعادة الحسية أمران:**

**الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: (أربع من السعادة) جاء التعبير النبوي بالتبعيض (من السعادة) والسعادة الحقيقية سعادة كاملة لا تبعَّض.**

**الثاني: ما ذكر في الحديث يشترك في تحصيله كل الناس – المؤمن منهم والكافر– ويسعى إليه جميعهم.**

**يعتبر الحديث المتقدم أساس السعادة الحسية، فقد بيَّن فيه النبي صلى الله عليه وسلم مقوماتها؛ فالمرأة الصالحة تسعد زوجها؛ فهي التي تهيئ له الاستقرار النفسي والأمن الأسري، والحياة الهادئة، فكم من صالحةٍ أصلحت دنيا زوجها وآخرته، وحببته في دينه وشرع ربه، من بعد ما كان فاسقاً أو كافراً.**

**وتُسعِد المرأة الصالحة زوجها بحسن التبعُّل والطاعة، فتعفه وتعينه على ما ينفعه، تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب وأدبر، وتكرم أهله وتقوم على بيته وولده بحسن التربية والرعاية، وتيسِّر له الخيرات، وترده عن**

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري١/٥٤، (واللفظ له)، باب: الجار الصالح، رقم الحديث [١١٦]، ن/دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٠٩هـ)، المستدرك على الصحيحين للحاكم ١٨٤/٤، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، كتاب: البر والصلة، رقم الحديث [٧٣٠٦]، ن/ دار الكتب العلمية بيروت، (١٤١١هـ)، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، صحيح ابن حبان ٣٤٠/٩، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، كتاب النكاح، باب: المرأة الصالحة للمؤمن خير متاع، رقم الحديث [٤٠٣١]، ن/مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ)، ت/شعيب الأرنؤوط، وصححه الشيخ الألباني انظر: السلسلة الصحيحة ٥٧١/١، رقم الحديث [٢٨٢].

**المهالك والسيئات، وتعينه إذا أطاع الله، وتذكره إذا غفل أو تغافل.**

**وعن أبي أمامة –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه كان يقول: ((مَا اسْتفِاد المُسلِمُ فائدةً بَعدَ تَقوَى اللهِ تَعالى خَيراً لَهُ مِنْ زَوجَةٍ صَالحةٍ إنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتهُ، وإنْ نَظرَ إِليهَا سَرتهُ، وإنْ أَقْسَمَ عَليهَا أَبرَّتهُ، وإنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظَتهُ فِي نَفْسِهَا))**[(١)].

**وأمَّا المسكن الواسع فالسعادة في رحابته وكثرة مرافقه، فيسعد صاحبه كلما رأى من يعولهم قد وجدوا فيه ما يسترهم، ويسرُهم بلا ضيق ولا زحام، وكذلك يسعد برحابة بيته لضيفه وصديقه، وأمَّا الجار الصالح فخيره يعمّ جيرانه بحسن جواره وإحسانه، وغضه لبصره وصوته، ولنصحه وأنسه، والمركب الهنيء يشتهيه كل صاحب نفس منفوسة.**

**أسباب السعادة الحسية:**

**لقد جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (( أربع من السعادة)) مقومات السعادة الحسية، فبها يجد الناس نوعاً من السعادة والمتعة، ولكنها لن تستطيع أن تجلب لهم السعادة الحقيقية إلا إذا توفر معها الإيمان والعمل الصالح، ويمكن تلخيص تلك الأسباب في النقاط الآتية:**

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٢٢/٨، (واللفظ له)، رقم الحديث [٧٨٨١]، ن/ مكتبة العلوم والحكم الموصل، (١٤٠٤)، ت/ حمدي عبد الحميد السلفي، سنن ابن ماجه ٥٩٦/١، رقم الحديث [١٨٥٥]، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة ٤٢٣/٩ (الحديث بهذا اللفظ ضعيف)، وأورد في السلسلة الصحيحة: (خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره) السلسلة الصحيحة ٤٥٣/٤، رقم الحديث [١٨٣٨] وصححه.

**الأولى: المرأة الصالحة، وهي ذات الدين والعفة.**

**الثانية: المسكن الواسع، لرحابته وكثرة مرافقه الجالبة للراحة والمتعة.**

**الثالثة: الجار الصالح، الذي يحسن الجوار ولا يتسبب في الشر والأذى والإضرار.**

**الرابعة: المركب الصالح، وهو السريع المريح، غير النفور ولا الشرود ولا الحرون.**

**أقول: كل ما ذكرته يؤكد أنَّ الحديث يشير إلى السعادة الحسية ومسبباتها، وقد عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء متنوعة من وجدها طاب عيشه وتوفرت له سبل الحياة الكريمة، لأنَّها مما تحتاجه الأبدان وتستمتع به الأجسام، ولكنَّ المسلم لا تتوقف سعادته عليها، فقد يكون سعيداً بدونها– أعني السعادة الحقيقية سعادة القلب والرضا– فقد كانت امرأتا نوح ولوط في غاية الشقاء وزوجيهما –عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام– في غاية السعادة رغم عدم صلاح زوجتيهما؛ فلم يشقيا بالزواج من غير الصالحة، وجاور رسول الله في مكة عمه أبا لهب، وكانت بيوته في المدينة حجرات، وهو صلى الله عليه وسلم أسعد الخلق، ولم تكن مساكن الصحابة أوسع من مساكننا اليوم ولم يشقوا بها؛ وكانوا يتعاقبون على البعير الواحد، بل سافروا على أقدامهم في صدر الإسلام ولم يشقوا، فقد كانت السعادة تغمر قلوبهم؛ فالظاهر من كل ما ذكرته أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أراد بالحديث المتقدم السعادة الحسية، لا السعادة الحقيقية التي يجدها أهل الإيمان في الدنيا والآخرة.**

**هل يحقق المال السعادة ؟**

**يعتبر المال من أهم مكسبات السعادة الحسية، ويمكن أن يمثل أهم أسبابها؛ فبه يكون الزواج والتعدد فيه –وانتقاء الصالحات الحسناوات– والدار الرحيبة، واختيار المكان المناسب لها، ويدخل ضمن ذلك الجار الصالح لأنَّ صاحب المال إن لم يجد الجار الصالح المناسب له فبوسعه أن يتحول إلى دار أخرى، وأنَّى يكون ذلك لمن ليس له مال؟ وهل يكون التنقل بين المراكب الهنيئة والسيارات الفارهة(١) إلا لأصحاب الأموال!؟**

**إنَّ الواقع يشهد أنَّ من ملك المال يمكنه أن يجلب لنفسه سعادة حسية، فبه تتوفر حياة الدعة والرفاهية، ولكنه يعجز أن يجلب سعادة القلب الحقيقية إلا إذا ملك صاحبه قلباً مخبتاً لله معتصماً به.**

**إنَّ القيمة الحقيقية للإنسان ليست بماله وجاهه وشرفه، بل هي بتقواه لربه، وإنَّ ضعاف الناس تتهافت نفوسهم أمام متع الدنيا الفانية؛ وإذا رأوا ذا مالٍ وثرة لا يسألون بأي ثمنٍ وبأي الوسائل نال ما نال من عرض الدنيا، وإن كان قد جمعه بوسيلة خسيسة أو عن طريقٍ دنس لا يهمهم ذلك كثيراً، بل يهمهم أنَّ هذا مالٌ وتلك ثروةٌ.**

**لا يستغني الإنسان عن المال ولكنَّ الصالحين لا يعظمونه إذا وجدوه، بل يستخدمونه في طاعة الله تعالى، ليصلوا به إلى الفردوس الأعلى، وإذا حرموه يعلمون أنَّ هذا بلاء من الله واختبار لصبرهم على الحرمان أو النقصان، كما قال**

(١) معنى الفارهة الحلوة الجميلة، انظر: لسان العرب ٥٢١/١٣، مادة: (فره).

تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).

ويقول ابن تيمية –رحمه الله: ((يكون المال عند العبد يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه))[1].

ولا يعتبر المال علامة لحب الله لعبده كما جاء في التنزيل: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ (الفجر: ١٥-١٦) .

قال أهل التفسير: ((يقول تعالى منكرًا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أنَّ ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ} (المؤمنون:٥٥-٥٦)، فإنَّ الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنمَّا المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر))[2].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَينَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠/١٨٩، ن/ دار الوفاء، ط٣ (١٤٢٦هـ)، ت/ أنور الباز وعامر الجزار.

(٢) انظر: تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢٤/٤١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٨/٣٩٨.

**وإِنَّ اللهَ يُعْطِي المَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الإِيْمَانَ إِلا مَنْ يُحِبُّ وَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عبْداً أَعْطَاهُ الإِيْمَانَ))**(١).

**وفي ختام السعادة الحسية أقول: إنَّ أكثر الناس يقولون إنَّ السعادة لا يمكن أن تتحقق إلا بالأموال؛ فهذا سعيدٌ لأنَّه يملك الأرصدة والدور، والعمائر والقصور، وبعض الناس يصرِّح بهذه الأوهام، وكثير منهم يعتقدها بقلبه، والواقع يقول غير ذلك، بل هو كما قال الشاعر:**

**ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكنّ التقي هو السعيد**

**وتقوى الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للأتقى مزيد**(٢)

**ليس كل من ملك مالاً قد ملك زمام السعادة، فإنَّ من أرباب الأموال وأصحاب الثروات من يعيش في شقاءٍ وتعاسة لا يعلم مداها ومنتهاها إلا الله.**

**لقد نطقت التجارب بأنَّ المال وحده لا يسعد من أعرض عن الله، فأصحابه غالباً ما يتقلبون في أنواعٍ من المتاعب والمصاعب من أبرزها الانشغال الشديد في جمعه، والمبالغة في حفظه والبحث عن تنوّع طرق استثماره، والقلق**

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٤/١، (واللفظ له)، باب: حسن الخلق، رقم الحديث [٢٧٥]، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٨٨/١، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، كتاب: الإيمان، رقم الحديث [٩٤]، المعجم الكبير للطبراني ٢٠٣/٩، رقم الحديث [٨٩٩٠]، وشعب الإيمان للبيهقي ٤٢٥/١، رقم الحديث [٦٠٧]، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة انظر: ٤٨٢/٦، رقم الحديث [٢٧١٤].

(٢) ديوان الحطيئة ٧٩/١، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ( ١٤١٣هـ)، دراسة وتبويب/د. مفيد قميحة.

**الشديد عند نقصه، والبعد والتخلي عن أصحاب الحاجات أو الكذب عند لقائهم.**

**كم من إنسان يملك كثيراً من الثروات ولكنه خائف قلق! إنَّه يخاف على ماله أن يذهب كله أو بعضه، ويسلم من هذا الشعور من آمن بالله واعتصم به، وتوكل عليه، وأمَّا من توكل على ماله فقد خاب وتعس؛ فما أكثر من عُذِّب بماله؛ فكم من غنيٍّ خطف أو قتل بسبب أمواله، وكم من صاحب ثروة دبَّ في بدنه مرض أشقاه طلب علاجه، وكم من غني أورثه الغني استكباراً أودى بحياته، وأبعده عن أعز أحبابه، وأقرب أقربائه، وكم من صاحب مال زال ماله، وزالت ثروته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء، لأنَّه قد حرم ما ألفه، من متع الحياة الغرارة.**

**المسألة الثانية: السعادة المعنوية:**

**المعنوي لغة: قال ابن منظور[1] –رحمه الله: ((المَعْنَى والتفسيرُ والتَّأْوِيل واحدٌ، وعَنَيْتُ بالقول كذا: أَردت، ومَعْنَى كلِّ كلامٍ ومَعْناتُه ومَعْنِيَّتُه أي: مَقْصِدُه))[2].**

(١) محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حنفية بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، ولد سنة ٦٣٠هـ، صاحب كتاب لسان العرب في اللغة الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، يقال: إن مختصراته خمسمائة مجلد، وولي قضاء طرابلس، واختصر تاريخ دمشق في نحو ربعه، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وعنده تشيع بلا رفض، مات سنة ٧١١هـ، انظر: أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ٣/١٠، وكشف الظنون لمصطفى القسطنطيني الرومي ٢/١٥٤٩، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ).

(٢) لسان العرب ١٥/١٠٦، مادة (عنا).

**المعنوي اصطلاحاً: المعنوي هو الذي لا يكون للّسان فيه حظ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب(١).**

**وخلاصة القول من التعريفين أنَّ الشيء المعنوي إنَّما هو الذي يفهم فهماً ولا يعبر عنه باللسان، وهذه السعادة إنَّما توجد في القلب، ولا تلاحظ بالعين ولا بسائر الحواس الأخرى، بل يجدها من ظفر بها في نفسه، وينعكس أثرها على حياته.**

**قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾** (النحل: ٩٧).

**قال السيوطي –رحمه الله: ((الحياة الطيبة هي السعادة))(٢)، وقال ابن عاشور –رحمه الله: ((والطِيبُ أصله النزاهة وحسن الرائحة، ثم استعمل في الملائم الخالص من النّكد، وتكون الحياة الطيبة في اطمئنان البال، وذلك رحمة من الله بهم في حياتهم وسببٌ لرحمته إياهم في الآخرة))(٣).**

**السعادة المعنوية هي سعادة النفس، وانشراح الصدر، وقرة العين، والاطمئنان والأمان، والأُنس بالرحمن، تلكم هي السعادة الحقيقية التي يسعى لطلبها البعيد والقريب، والأغنياء والفقراء وجميع الخلق على حدٍ سواء.**

**ولكنها في الحقيقة سعادة خاصة بأهل الإيمان والقرآن، لا تتعداهم إلى غيرهم، سعادة يجدونها في استسلامهم لربهم، وتلذذهم بطاعته وحسن عبادته،**

(١) التعريفات للجرجاني ٢٨٥/١، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٦٦٧/١.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ١٦٤/٥، أورد ذلك رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٧٣/١٣ و٢١٩/١٤ (بتصرف).

**وإنَّها سعادة الدنيا التي تورث سعادة الآخرة، وتزداد سعادة العبد كلما كان لله أخلص وإليه أقرب.**

**قال ابن القيم –رحمه الله: ((كان شيخ الإسلام ابن تيمية –رضي الله عنه– يقول: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية، وقيل: لا طريق أقرب إلى الله من العبودية))**(١).

**ومن أقواله –رحمه الله: ((لا تنال السعادة والعلم والهدى والصلاح وكل خير في الدنيا والآخرة إلا بالقرآن الكريم، الذي به حياة القلوب والأرواح، والمعارف الإلهية المبيِّنة لطريق العبودية التي هي غاية كمال العبد))**(٢).

**يؤكد الإمام ابن القيم –رحمه الله– على أهمية القرآن العظيم في تحقيق السعادة، ولا حياة للقلب من غير نور القرآن الكريم، فبه يعرف الرب والشرع، وبه تكون العبادة وتزكية النفس، ولا فلاح للعبد إلا عن طريق عبودية الله تعالى.**

**إنَّ البوابة الرئيسة للسعادة المعنوية عبودية الله تعالى، ولهذه العبودية سبل كثيرة من سلكها قادته إلى السعادة المعنوية، ولكل أمرٍ عظيم بوابة محكمة البناء، فمن طلبه لا بد له من الاهتداء لبابه، ومعرفة مفتاحه، وطريق الوصول إليه، وكل أمرٍ مهم يجب أن يباشر من وجهه وطريقه الصحيح، قال تعالى:** ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩).

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ١/٤٣١.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ١/١٨٩١، ن/ مكتبة ابن القيم، الدمام، (١٤١٤هـ) ت/عمر محمود.

**وقال الإمام الشافعي[١] –رحمه الله:**

**تَبْغي النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ[٢].**

**إنَّ للسعادة المعنوية أسباباً، لأنها من صنع الإنسان –بعد توفيق الله له– وليست من صنع الآخرين، الإنسان هو الذي يتسبب في إيجادها، ويطلبها من مظانها ويأتي بها طائعة منقادة، وكذلك هو الذي يزيلها ويعدم أصلها، ويحرق كنهها، وينحر بهجتها، فكل إنسان يستطيع أن يلَّون حياته، فإمّا أن يصبغها بصبغة السعادة، أو بصبغة الشقاء، وكل ذلك بسبب الطاعة أو المعصية.**

**قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾** (النازعات: ٤٠ – ٤١ ) **وفي هذه الآية يقول الشيخ على قاري[٣] –رحمه الله:**

---

(١) الإمام محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي القرشي صاحب المذهب المشهور، ولد سنة ١٥٠هـ بغزة من بلاد فلسطين، مات عنه أبوه وهو ابن سنتين فحملته أمه إلى دارهم بالحجاز في أجياد فنشأ بمكة وترعرع بها وجالس أهل العلم، وهاجر إلى مصر واستقرها، من مؤلفاته الأم، الرسالة في أصول الفقه، وغير ذلك، توفى بالفسطاط في سنة ٢٤٠هـ، انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٤٢/١، تسمية فقهاء الأمصار لأحمد النسائي ١٢٧/١، ن/ دار الوعي بحلب، ط١، (١٣٦٩هـ) ت/ محمود إبراهيم زائد، الثقات لابن حبان البستي ٣١/٩، ن/ دار الفكر، بيروت، ط١، ( ١٣٩٥هـ)، ت/ السيد شرف الدين أحمد.

(٢) ديوان الإمام الشافعي ص٥٧، نشرته دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) علي بن سلطان محمد نور الدين الملّا الهروي القاري، فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة، وسكن مكة، قيل: كان يكتب في كل عام مصحفاً، وصنف كتباً كثيرة، منها (تفسير القرآن)، (الأثمار الجنية في أسماء الحنفية)، (بداية السالك)، (شرح مشكاة المصابيح)، (شرح مشكلات الموطأ)، وغيرها، مات بمكة سنة ١٠١٤هـ، انظر: =

((جمعت الآية السعادة الأبدية))[1].

فمن سخَّر بدنه ومنافعه في طاعة الله ورضاه سعد، ومن اشتغل بمعصيته وقع في الشقاء، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

عطل المذكورون في هذه الآية قلوبهم وأعينهم وآذانهم عن الخير والهدى وسماع الحق، فكانوا أشقى الناس وأضل الخلق، ولو أنهم استخدموا أعضاءهم ومنافعهم في طاعة الله لكانوا أسعد الناس، قال أبو السعود[2] –رحمه الله: ((المراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالسمع والصوت كما هو وظيفة الأنعام، أي: لهم أعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم، وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم، ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم

---

= الأعلام للزركلي ٥/١٢.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/٧٠، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ)، ت/ جمال عيتاني.

(٢) محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود، ولد سنة ٨٩٦هـ، صنَّف إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم في التفسير، وكان تفسيره من أكمل التفاسير وعليه تعليق العالم الفاضل الشيخ رضي الدين ابن الشيخ يوسف، وقد صنَّف الحاشية على تفسير الكشاف بلغها إلى آخر سورة الفتح وسماها معاقد النظر، كانت وفاته سنة ٩٨٢هـ، ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٣٩٨.٣٩٩.

**ابتداء، بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال أي أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة كالأنعام أي في انتفاء الشعور، أو في أنَّ مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها، بل هم أضل فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار))**[1].

**إذن يفهم من الآية أنَّ بعض الناس لم يستفيدوا من منافعهم، بل استخدموها فيما يهلكهم ويوقعهم في الضنك من العيش والتعاسة، ولو أنهم أطاعوا الله ووظفوا منافعهم في الخير والهدى لعاشوا في حياة طيبة سعيدة.**

**أتناول في المبحث التالي أنفع السبل التي أحسب أنَّها جالبة للسعادة المعنوية، طاردة للهموم والتعاسة في الدنيا والآخرة، وكل من سلك هذه السبل قادته بإذن الله إلى السعادة الحقيقية، وهي سبل كثيرة ولكني أؤكد على أهمها وأنفعها.**

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم لأبي السعود ٣/٢٩٥، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

# المبحث الثاني

# سبل تحقيق السعادة المعنوية وفيه عشرة مطالب

## المطلب الأول: الإيمان بالله وتحقيق التوحيد:

**تعريف الإيمان لغة:**

**قال محمد الرازي[1] –رحمه الله–: ((الإيْمَانُ التَّصْدِيقُ، وَاللهُ تَعَالى المُؤْمِنُ؛ لأنَّه آمَنَ عِبَادَهُ مِنْ أنْ يَظْلِمَهُمْ))[2].**

**تعريف الإيمان اصطلاحاً:**

**الْإِيمَانَ عند أهل السنة والجماعة: اعتقادٌ وقَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وله بضع وستون شعبة[3].**

**وقال الإمام أحمد[4] –رحمه الله: ((الإيمان قول وعمل ونية، وتمسك**

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، أصله من الري، عاش في القرن السابع الهجري، من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، صاحب مختار الصحاح في اللغة، زار مصر واستقر بالشام، ومن مؤلفاته: شرح المقامات الحريرية، وحدائق الحقائق، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، والذهب الإبريز، انظر: الأعلام للزركلي ٦/٥٥.

(٢) مختار الصحاح للرازي ١/٢٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/٥٠٥، ن/ دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ) ت/ أنور الباز، وعامر الجزار، صحيح البخاري ١/٧، كتاب: الإيمان، باب: قوله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس).

(٤) الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله، صاحب المذهب المشهور، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، طلب العلم وهو صغير رحل إلى أقطار شتى وأخذ عن علمائها، اشتهر بالحفظ والإتقان، أعز الله به أهل السنة وبلغت شهرته الآفاق خاصة بعد أن وقف =

**بالسنة، يزيد وينقص ويستثنى في الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً))[١].**

**ومعنى الاستثناء في الإيمان أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فإن قصد الشك في الإيمان كفر، وإن قصد عدم علمه بقبول إيمانه فلا بأس[٢].**

**أول سبيل للسعادة الإيمان بالله، ووجب على جميع الخلق الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وأنّه ربّ العالمين الخالق المدبر، ربّ كل شيء ومليكه؛ مالك الملك، القدوس السلام، الذي لا إله إلا هو، الواحد الأحد الفرد الصمد، الأول فليس قبله شيء، الآخر فليس بعده شيء، الظاهر فليس فوقه شيء، الباطن فليس دونه شيء، الأزلي القديم، الذي لم يزل موجوداً بصفات الكمال والعظمة والجلال، خالق الليل والنهار، يعلم ما في الأرض والسماء، وما في لجج البحار، والمفازة والقفار، ويعلم دبيب النمل وأزير النحل وعددَ مثقال الذر والرمل، وما تسقطه الأشجار، وما تنبته في ليل أو نهار، سبحانه هو العلي الولي الكبير المتعال.**

**قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ**

---

= أمام القول ببدعة خلق القرآن، له مؤلفات كثيرة، أشهرها المسند، توفى سنة ٢٤١هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير١٠/٣٢٥ . ٣٤٣، ن/ دار المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض، (١٩٧٨م)، والتاريخ الصغير ٢/٣٧٥.

(١) العقيدة لأحمد بن حنبل ص ٧٤، ن/ دار قتيبة، دمشق، ط١، (١٤٠٨هـ)، ت/ عبد العزيز السريوان.

(٢) انظر للمزيد في موضوع الاستثناء في الإيمان: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٣٦٧.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦).

**قال الشيخ السعدي[١] –رحمه الله: ((على العباد أن يؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه))[٢].**

**يشير الشيخ السعدي إلى أركان الإيمان التي يقوم عليها العمل الصالح، وأول هذه الأركان وأعظمها الإيمان بالله، بربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته، وقد ضلت الأمم السابقة وشقيت وأُهْلِكت لما أشركت بالله واتخذت معه الأنداد.**

**لقد كانت أوّل توجيهات رسولنا صلى الله عليه وسلم لمعاذ –رضي الله عنه– لما بعثه اليمن الدعوة إلى التوحيد فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللهَ تَعَالى))[٣]، وهذا يدل على منزلة التوحيد عند الله.**

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ناصر آل سعدي، من قبيلة تميم، ولد في عنيزة بالقصيم في عام ١٣٠٧هـ، حفظ القرآن الكريم وأتقنه وعمره احدى عشرة سنة، تلقى العلم من علماء بلده، واجتهد حتى نال الحظ الأوفر من كل فنون العلم، له مصنفات قيمة في التفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله، توفى سنة ١٣٧٦هـ، انظر: مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٥، ن/ دار الإفتاء السعودية، (١٤١٠هـ)، والأعلام للزركلي ٣/٣٤٠ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٧٩٠.

(٣) صحيح البخاري ٦/٢٦٨٥، (واللفظ له)، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى التوحيد، رقم الحديث [٦٩٣٧]، صحيح مسلم ١/٣٨، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، رقم الحديث [١٣٢].

**تعريف التوحيد لغة:**

**قال ابن منظور –رحمه الله: ((مِنَ الإِنْفِرَاد، وَحِيدٌ لا أَحَدَ مَعَهُ، وَتَقُولُ بَقِيتُ وَحِيدَاً فَرِيداً حَرِيداً بِمَعْنَى وَاحِدٍ))[(١)].**

**التوحيد اصطلاحاً:**

**هو إفرادُ الله بالخلق والتدبر، وإخلاصُ العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما لَهُ من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب[(٢)]، وهذا مقتضى الإيمان بالله، وما سلم من حاد عن التوحيد.**

**قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾** (الأنبياء: ٢٥) **، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾**(النحل: ٣٦) .

**لقد فهمت قريش المراد بالتوحيد فأنكرت أن تكون الآلهة إلهًا واحدًا، قال تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾** (ص: ٥)**، ولم يقولوا ذلك إلا لعلمهم معنى كلمة (لا إله إلا الله) ولكن للأسف يقع الآن كثير من الناس في الشرك وينقضون عرى التوحيد وهم يجهلون معنى كلمة (لا إله إلا الله)، مثل دعائهم غير الله تعالى، واتخاذ الوسطاء، أو التعلق بالقبور ونحو ذلك.**

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣/٤٤٦، مادة: (وحد).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/١٧٢، ن/ مؤسسة قرطبة، ط١، ت/محمد رشاد، ومجموع الفتاوى ٢/٣٧، ٣/٣، ٤/١٥١.

**قال الشيخ الألباني[1] –رحمه الله: ((أمّا غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن لا إله إلا الله فهم لا يفقهون معناها جيداً؛ بل لعلهم يفهمون معناها فهماً معكوساً ومقلوباً تماماً، إلى أن قال –رحمه الله: إنَّ واقع كثير من المسلمين اليوم شر مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة؛ لأنَّ المشركين العرب كانوا يفهمون ولكن لا يؤمنون؛ أمّا غالب المسلمين اليوم فإنهم يقولون ما لا يعتقدون؛ يقولون لا إله إلا الله، ولا يؤمنون حقاً بمعناها))[2].**

**ينبه شيخنا –رحمه الله– على خطر الشرك الذي انتشر في بلاد المسلمين، وواجب الدعاة تجاهه، ولا يدل قوله على إباحة سفك الدماء، فإنَّ من قال (لا إله إلا الله) فقد عصم ماله ودمه[3]، بل يشير –رحمه الله– إلى**

(١) محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ولد عام ١٣٣٣هـ، في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا، من شيوخه الشيخ سعيد البرهاني، سَخَّر عمره في خدمة الحديث وعلومه حتى أصبح مشهوراً بذلك، اختير عضواً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية من عام ١٣٩٥هـ إلى ١٣٩٨هـ، مات سنة ١٤٢٠هـ، انظر للمزيد: كتاب حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه لمحمد بن إبراهيم الشيباني من ص ٤٤–٧٧، ن/ مكتبة السدَّاوي بالقاهرة، (١٤٠٧هـ).

(٢) انظر: رسالة التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام ص ٩–١٣، والمجلة السلفية، بالأردن، العدد الرابع، ( ١٤١٩هـ).

(٣) عاتب النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد –رضي الله عنه– لما قتل الرجل بعد أن قال كلمة التوحيد، فقال له: (يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله)، قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. انظر: صحيح البخاري ٤/١٥٥٥، كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة إلى الحرقات من جهينة.

انتشار البلاء الذي استوجب على الدعاة والمصلحين عموماً مضاعفة الجهد في تعليم الناس، ومن شاهد الطواف على الأضرحة، والاستغاثة بالأموات، وطلب الذرية والرزق منهم، علم حجم البلاء الحقيقي؛ وليس من رأى كمن سمع.

يقع في الشرك كثير من الناس، لذلك فقدت قلوبهم السعادة؛ يقعون في صغير الشرك وكبيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦)، يعبد بعض الناس الجن[1] وبعضهم يعبد الإنس، وكثير منهم يتوكلون على غير الله في جميع أمورهم، وما أكثر من يرجو ويدعو ويستغيث وينحر ويذل ويخشع ويخضع لغير الله، وآخرون يحلفون بغيره، وينذرون لسواه، وهكذا يقع الناس في الشرك، وهذا أوّل سبيل للشقاء والضلال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١١٦)، وأنَّى لقلب مضطرب بين هذه الضلالات أنْ يدرك السعادة ؟ ويقول سبحانه: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: ٣١)، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: ((ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل شرٍّ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببه

(١) قال تعالى عن الملائكة: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٤١).

**مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم والدعوة إلى غير الله))**[1].

**وكذلك يقول –رحمه الله: ((أصل السعادة الإيمان، وأصل الإيمان قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو المحبة على سبيل الخضوع))**[2].

**إنَّ التوحيد هو أساس الإسلام ولُبُّ الْإيمان وبه ينتَفع الْعباد في مصالِح المعاش والمعاد، ولا يمكن أن تتحقق السعادة إلا بالتوحيد الخالص.**

**وقال الشّيخ الشنقيطي –رحمه الله: ((إنَّ التوحيد أساس الدين والملة، وقاعدة الإسلام العظيمة التي عليها صلاح الدين والدنيا والآخرة، فمن قام بها وأداها على وجهها أسعده الله في الدنيا والآخرة، إنَّه التوحيد والإيمان واليقين، والإحسان الذي هو أساس كل خير، ومنبع كل فضيلة وبر، من أصلح لله إيمانه، وكمَّل توحيده وإخلاصه فتح الله له أبواب رحمته، وزاده من عظيم بره وفضله، وإذا دخل الإيمان إلى القلوب اطمأنت بالله علام الغيوب))**[3].

**تؤكد هذه الأقوال عظمة التوحيد وبالغ أثره في تحقيق السعادة، فلا سعادة ولا هناء للخلق بدونه، بل هو أوَّل ما تستجلب به السعادة الحقيقية، ولم تشق الأمم السابقة إلا لمَّا تخلت عنه، واتخذت من دون الله الأنداد.**

**إنَّ قلوب أهل الشرك والكفر والنفاق ممتلئة بالرعب والشقاء، قال**

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/٢٥.

(٢) كتاب النبوات لابن تيمية ١/٩١، ن/ المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٨٦هـ)، والتفصيل في مجموع الفتاوى ٢/٤٠.

(٣) رسالة التوحيد في الحج لمحمد الأمين الشنقيطي ص ٤.

تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥١).

قال الشيخ السعدي –رحمه الله– في تفسيرها: ((ذلك بسبب ما اتخذوا من دونه من الأنداد والأصنام، من غير حجة ولا برهان، فمن ثَمَّ كان المشرك مرعوباً من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدَّةٍ وضيق))[(١)].

ويستفاد من الآية أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فلما أشركت القلوب مع الله آلهة أخرى فسدت[(٢)]، فجمع فيها الرعب، واستولى عليها الخوف والقلق، فكيف لقلب هذه أوصافه أن يجد شيئاً من السعادة أو الاطمئنان؟!.

ومن سعادة أهل التوحيد الاستخلاف والتمكين في الأرض، فترجع إليهم الأمور، ليسوسون الرعية بالهدى والنور، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾(النور: ٥٥).

في الآية وعد من الله لأهل التوحيد بالاستخلاف في الأرض، والتمكين العام المطلق بجميع صوره وأشكاله، وتبديل خوفهم أمناً، وشرط ذلك تحقيق عقيدة التوحيد، والسلامة من الشرك، (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٥١.

(٢) كما أنَّ السموات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا كذلك القلب يفسد إن أشرك مع الله آلهة أخرى، قال الله: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢١ – ٢٢).

قال القرطبي –رحمه الله–: في تفسير الآية: ((وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إنَّ الله تعالى أمَّنَهم ومكَّنهم وملَّكهم بتحقيقهم الإسلام))[1].

خسر أهل الشرك السعادة، وأفلتت منهم، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (الإسراء: ٢٢) فكيف لمن حكم الله عليه بالذم والخذلان أن يدرك من السعادة شيئاً ؟

قال الطبري –رحمه الله–: ((أي: لا تجعل يا محمد مع الله شريكاً في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنَّك إن تجعل معه إلها غيره وتعبد معه سواه، تقعد مذموماً: يقول: تصير ملوماً على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك، مخذولاً قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءاً))[2].

وقال تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۖ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ (الحج: ١٢ – ١٣).

ذلك لمن تعلق بغير الله وتخلى عن التوحيد، ووجه قلبه للمخلوقين، فدعاهم من دون الله، فأصبح شريد القلب مضطرب الفكر، في نزاع نفسي؛ فكانت عاقبة أمره خسارة الدنيا والآخرة، والسبب في ذلك إشراكه مع الله آلهة أخرى.

وقع في الذل والشقاء من جعل مع الله آلهة أخرى، فوَّض إليها أمره، وتوكل عليها، وجعل قلبه بين يديها وعقده عليها، يرجو نفعها ومنعها، وقد تكون

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٩٩/١٢.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤١٢/١٧، (بتصرف).

أجساداً نخرة، قد أرمت وذابت، أو أشجاراً وأحجاراً قد تهالكت، أو مزارات وأضرحة بالشرك تدنست، ولكنَّ الله يشهد بسلامة أهل التوحيد من الذم والخذلان، ومن سلم من الشرك فقد فاز، لأنَّه احتمى واعتصم بالواحد الأحد، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وما من شيء يسعد العباد إلا عند الله خزائنه.

## المطلب الثاني: محبة الله ورسوله والمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (المائدة: ٥٥ – ٥٦).

يسعد المسلم بحبه لربه، ثمَّ بحبه لرسوله صلى الله عليه وسلم، وإنَّ محبة المسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبته لله عز وجل، وكل ما سواها من المحابِّ الشرعية تبعٌ لها.

ليس للخلق محبة أعظم ولا أتم ولا أشرف من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الدنيا ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجهٍ إلا الله تعالى، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما يحب لأجل الله، ويطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله؛ فإنَّ الذي بعثه هو الله.

قال أبو السعود –رحمه الله–: ((إذا علم العبد أنَّ الكمال الحقيقي ليس إلا لله عز وجل، وأنّ كل ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله، لم يكن حبه إلا لله، وفي الله، وذلك مقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه))[1].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم لأبي السعود ٢/٢٤، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

**يبين أبو السعود –رحمه الله– أنّ كل النعم التي عند الناس مصدرها وأصلها من الله تعالى، والمحاب التي تسود بين أوليائه هي في الله، فيجب أنّ يكون الحب كله لله تعالى؛ لأنَّه المتفضل على عباده بجميع النعم.**

**لقد أمر الله وفرض على المسلمين حبَّ رسوله، بل جعل رفع الصوت فوق صوته معصية محبطة للأعمال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾** (الحجرات: ٢ ).

**وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))**[1].

**وجاء التعبير في الحديث "بأحب" لأنَّ المحبة المطلوبة شرعاً هي المحبة الراجحة، وأنَّ الإيمان الكامل متوقف على رجحان هذه المحبة في القلب.**

**وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان، بل ربما كانا أحبَّ إليه من نفسه –فقد يختار الإنسان الموت من أجل أن يبقى والده أو ولده– وفي هذا تأكيد على أنَّه يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحبّ إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز.**

---

(١) صحيح البخاري ١/١٤، (واللفظ له)، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، رقم الحديث [١٥]، صحيح مسلم ١/٤٩، كتاب الإيمان، باب: وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث [١٧].

**وأورد الإمام النووي[١] عن الإمام الخطابي[٢] –رحمهما الله: ((لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حب الطبع، بل أراد حب الاختيار، لأنَّ حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك، وتؤْثر رضايَ على هواك وإن كان فيه هلاكك، ثمَّ نقل النووي قول ابن بطال[٣] والقاضي عياض[٤] –رحمهما الله: المحبة ثلاثة أقسام؛**

(١) أبو بكر بن يحي بن شرف النووي الدمشقي، ولد سنة ٦٣١هـ كان أوحد زمانه في العلم والورع، من مؤلفاته: شرح مسلم ورياض الصاحين والمجموع والمنهاج، مات سنة ٦٧٦هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٣٧٨/١٣، وطبقات الشافعية لأبي بكر أحمد ١٥٣/٢، ن/ عالم الكتب، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـ).

(٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي صاحب التصانيف، وكان من أوعية العلم، من تلاميذه الحاكم صاحب المستدرك، صنَّف شرح البخاري ومعالم السنن وغريب الحديث وشرح الأسماء الحسنى، وله كتاب العزلة وغير ذلك، مات ببست في ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ، انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ٤٠٥/١، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٣هـ).

(٣) أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، فقيه باحث، له أدب وشعر، تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه (المقنع) في أصول الأحكام، قالوا فيه: لا يستغني عنه الحكام، وكان من الشعراء أيضاً، ويلقب بالعين جودي، لكثرة ما كان يردد في أشعاره (يا عين جودي)، توفي سنة ٤٠٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي ١٣٢/٣.

(٤) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ولد سنة ٤٧٦هـ بسبتة، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموماً، قيل: سمه يهودي، من تصانيفه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك، وتقريب المسالك في معرفة أعلام =

**الأولى: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، الثانية: محبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، والثالثة: محبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة في محبته، ثمَّ شرح الحديث بقوله: إنَّ من استكمل الإيمان علم أنَّ حق النبي صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأنّ به صلى الله عليه وسلم النجاة من النار والهداية من الضلال، وقال القاضي عياض –رحمه الله– ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرة سنته، والذب عن شريعته وتمنى حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه، وإذا تبين ما ذكرناه تبين أنَّ حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك))**[1].

**والحب وإن كان من أعمال القلوب إلا أنَّ آثاره تظهر على الجوارح، ولما كان الحب أمراً يمكن أن يستتر وراء الدعاوى والمزاعم ويقع في الاشتباه؛ كان لا بد من التمييز بين الصادق فيه وبين الدَّعي الكاذب، ولطالما استغلت دعوى حبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أو حبّ الصالحين لتسويق ألوانٍ من البدع وضروبٍ من الغلو، ومن ذلك رفع النبي صلى الله عليه وسلم فوق منزلته التي جعله الله فيها، وذلك كاعتقاد أنَّه يعلم الغيب مطلقاً بدون أي نوع من أنواع الوحي، أو أنَّ وجوده سابق لخلق الأرض والسموات، أو أنَّ الكون لم**

---

= مذهب الإمام مالك، وشرح صحيح مسلم ومشارق الأنوار، توفي سنة ٥٤٤هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٩٩/٥.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي ١٦/٢، ن/ دار إحياء التراث العربي، ط٢، (١٣٩٢هـ)، وفتح الباري لابن حجر ٥٢٨/١١، ن/ دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ) ت/ أحمد حجر.

يخلق إلا من نوره، وأنّه يعلم علم اللوح والقلم، وغير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي يختلقها وينظمها أهل البدع والخرافة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، قال الطبري –رحمه الله–: ((جعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلَمًا لحبه، وعذاب من خالفه))(١).

وعَنْ أَنَسٍ –رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار))(٢).

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم شرطاً للمحبة الحقيقية؛ فلا تتقدم رغبات النفس ولا مشتهيات الأحباب، والأهل والأصحاب على دين الله، وتلك هي المحبة الصادقة، التي بها يجد المسلم حلاوة الإيمان، وبها تتحقق السعادة.

إنَّ المحبة الخالية عن الطاعة والانقياد لا قيمة لها، وإنَّ كثيراً ممن لا ينتسبون إلى الإسلام يبدون إعجابهم الشديد برسول الله صلى الله عليه وسلم، بل ويفيضون الحديث في بيان جوانب عظمته، وحنكته، وحكمته،

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٦/٣٢٢.

(٢) صحيح البخاري ١/١٤، كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان رقم الحديث [١٦]، صحيح مسلم ١/٤٨، (واللفظ له)، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم الحديث [١٧٤].

**وحلمه، ورحمته – صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك فلا يمكن أن نسمي هذا الإعجاب حباً شرعياً؛ إذ لا إيمان في قلوبهم.**

**لقد كان أبو طالب –عم رسول الله صلى الله عليه وسلم– يحبه ويقدره، بل ويصدّ عنه أذى قريش بكل وسعه، فلم يستطع كبار طواغيت مكة أن يوصلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الأذى إلا بعد وفاته، وقد بينت ذلك أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة –رضي الله عنهما–: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا زَالَتْ قُرَيشٌ كَاعَّة[1] حَتى تَوَفي أَبُو طَالِب))[2].**

**وقال ابن حجر[3] –رحمه الله: ((كان يذب عن النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عنه كل من يؤذيه وهو مقيم مع ذلك على دين قومه))[4].**

**ومع هذا الحب الشديد والدفاع المتواصل طول حياته، لم يظفر أبو**

---

(١) الكاعَّة جَمْع كاعَ؛ وهو الجَبَانُ، يقال: كَعَّ الرجُلُ عن الشيء يَكِعُّ كَعَّاً إذا جَبُن وأحْجَم والمعنى أنهم كانوا يَجْبُنُون عن أذَى النبي صلى اللّه عليه وسلم في حياةِ أبي طالب فلما مات اجْتَرَأوا عليه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٣٣/٤، باب: (الكاف مع العين).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٧٩/٢، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كتاب: الهجرة الأولى إلى الحبشة، رقم الحديث [٤٢٤٣].

(٣) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني العلامة المحقق المدقق شهاب الدين، صنَّف تجريد التفسير من صحيح البخاري، وصنف الإحكام لما وقع في القرآن من الإبهام، وشرح صحيح البخاري في كتابه فتح الباري، وغير ذلك، كانت وفاته سنة ٨٥٢هـ، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ٣٢٩/١ . ٣٣٠.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١٤٩/٧.

طالب بالجنة وصحبة حبيبه فيها؛ لأنَّ ذلك الحب لم يثمر إيماناً منه بدين الإسلام؛ فإنَّه كان حبّ قرابة وحميَّة فقط، لم يكن من أجل الله ولا من أجل دينه.

وهكذا يفوت الأجر والثواب كل من أحبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً غير منضبط بضوابط الشرع، ولو بلغ به الغلو ما بلغ، فشرط المحبة الطاعة والتأسي به صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

قال الشوكاني –رحمه الله– في معنى الأسوة: (( الأسوة من الائتساء، أي قدوة صالحة))[١].

وبالطاعة والتأسي تكون السعادة، قال ابن تيمية –رحمه الله–: ((فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور))[٢].

يبين شيخ الإسلام –رحمه الله– أنَّ السعادة تدور حول الطائعين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالطاعة ينجو العبد ويسلم من المهالك في الدنيا والآخرة، وكل ذلك يؤكد أنَّ لازم المحبة الطاعة والانقياد، ولا محبة بلا طاعة.

ومن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة ما كان يحب، ومحبة من أمر بحبه، ومن ذلك محبة عموم أصحابه، وزوجاته، وكيف لا يحبون وهم الذين

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ٣٨٤/٤.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤/١.

**نقلوا لنا الدين –سبيل نجاتنا وسعادتنا– وكيف لا يحبون وقد رضي الله عنهم، وأعدَّ لهم الجنات، وبشرهم بها، وقد وردت بذلك الآيات، ومنها الآتي:**

**قوله تعالى:** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

**قال الشنقيطي –رحمه الله–: (وهذا دليل قرآني صريح في أنَّ من يسبهم ويبغضهم، أنَّه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه؛ ولا شك أنَّ بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان)**[1].

**وقال ابن الجوزي**[2] **–رحمه الله–: ((إنَّ الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله (والسابقون الأولون))**[3].

**وقال سبحانه:** ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/٥٥٨.

(٢) عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن عبيد الله بن حمادي الجوزي أبو الفرج، القرشي الحنبلي، ولد سنة ٥١٠هـ، من مصنفاته زاد المسير في علم التفسير، وله في الأحاديث تصانيف كثيرة وله المنتظم في التاريخ والموضوعات، وله تلقيح مفهوم الأثر، وكتبه أكثر من أن تعد، وكانت وفاته سنة ٥٩٧هـ، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٢٠٨ . ٢٠٩.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٤٩٠، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، (١٤٠٤هـ).

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٨ – ٩).

**وفي التفسير قال ابن عطية[١] –رحمه الله:((أراد بالفضل والرضوان الآخرة والجنة و(نصر الله) تعالى هو نصر شرعه ونبيه و"الصادقون" في هذه الآية تجمع صدق اللسان وصدق الأفعال، و"الذين تبوءوا" هم الأنصار، والضمير في "قبلهم" للمهاجرين و"الدار" هي المدينة، والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان معاً، والإيمان لا يتبوأ؛ لأنَّه ليس مكاناً، ولكن هذا من بليغ الكلام، وأثنى الله تعالى في هذه الآية على الأنصار بأنهم "يحبون" المهاجرين وبأنهم "يؤثرون على أنفسهم"))[٢].**

**لا ينكر فضل الصحابة الكرام إلا جاهل أعمى البصيرة، أو صاحب بدعة وهوى، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بحبهم، والتحذير من سبهم أو انتقاصهم، في أحاديث كثيرة منها الآتي:**

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه**

(١) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الغرناطي، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بصيراً بلسان العرب، وكان يتوقد ذكاء وله المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وهو تفسير شريف جليل تداوله فحول العلماء، مات سنة ٥٤٦هـ، انظر: طبقات المفسرين لأحمد الأدنروي ١/١٧٥ . ١٧٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ٥/٢٦١، (بتصرف) ن/ وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، (١٤٢٨هـ)، ت/ الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال، ومحمد الشافعي.

وسلم: ((لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ))[1].

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسلَّم: ((مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِين))[2].

وعَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَار))[3]، وغير ذلك كثير مما ورد في وجوب حبِّ الصحابة عموماً، أو ما ورد في بعضهم من تخصيص لمزيد الفضل مثل الذي ورد في فضل أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين.

وأمَّا زوجاته الطاهرات العفيفات الأمهات، فمن حبه حبهنَّ وتوقيرهنّ، كيف لا وقد مدحهنّ ربهنّ فقال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ (النور: ٢٦)،

(١) صحيح البخاري ١٣٤٣/٣، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث [ ٣٤٧٠] صحيح مسلم ١٨٨/٧، (واللفظ له) كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم الحديث [٦٦٥١].

(٢) معجم الطبراني الكبير ١٤٢/١٢، باب: العين، رقم الحديث [١٢٧٠٩]، مسند البزار ٢٣٩/٢، مسند ابن عباس –رضي الله عنهما– رقم الحديث [٥٧٥٣]، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٣٩/٥، رقم الحديث [٢٣٤٠].

(٣) صحيح مسلم ٦٠/١، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أنَّ حبَّ الأنصار وعلي من الإيمان، ووردت روايات كثيرة في الباب، منها: عن البراء –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :((مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)) وفي الباب رواية عن أبي سعيد –رضي الله عنه–: ((لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)).

ورسولنا أطيب طيب صلى الله عليه وسلم وقد اختار الله له أطيب الطيبات، ومن مدح الله لهنّ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥)، وبما أنَّه –صلى الله عليه وسلم– لم يطلقهنّ دلَّ ذلك على أنَّه لا يوجد أفضل منهنَّ، فهنّ اختيار الله لرسوله، وظللن معه حتى مات –صلى الله عليه وسلم– ولم يطلقهنَّ، فهنَّ الخيِّرات المختارات.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

قال الشوكاني –رحمه الله: ((إنَّ أهل البيت المذكورين في الآية هنَّ زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة))[(١)].

وقال أبو السعود –رحمه الله: ((وهذه كما ترى آية بينة، وحجة نيرة على كون نساء النبيِّ من أهل بيته، قاضية ببطلان رأى الشيعة[(٢)] في تخصيصهم أهل

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ٣٩٥/٤، وذكر هذا القول غيره من المفسرين، انظر للمزيد: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢٦٧/٢٠، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٥٠/٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤١٠/٦، ن/ دار طيبة، ط٢، (١٤٢٠هـ)، ت/ سامي سلامة، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٨١/٦.

(٢) الاسم الصحيح لهم الرافضة، وهم يحبون اسم الشيعة، كحب النصارى تسميتهم بالمسيحيين؛ نسبة للمسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والمسيح منهم براء، فالصحيح أن يقال لهم النصارى كما سماهم الله تعالى في القرآن، كذلك الصحيح أن يمضي اسم الرافضة بدل الشيعة، وقد سماهم به أئمة السلف، وهذا الاسم هو الأنسب والأشبه بهم وبعقيدتهم.

البيت بفاطمة وعلي وابنيهما –رضوان الله عليهم– وأما ما تمسكوا به من أنَّ رسول الله خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فإنما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أنَّ من عداهم ليسوا كذلك))[1].

والسعيد من سلك في حبه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم سبيل السابقين من سلف هذه الأمة الصالحين، فهم خير من أقام الدين، والشقي من يسلك في حبه مسلك أهل البدع والأهواء، بلا دليل ولا حجة ولا برهان، بل يتخيَّر لحبه من شاء، ولبغضه من شاء، لمجرد الجهل والأهواء.

وأمَّا محبة المؤمنين فقد أمر بها ربّ العالمين، ولا شك في أنَّها من محاضن السعادة القلبية، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١).

قال ابن كثير –رحمه الله: ((إنّ المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن))[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: ((إنَّ المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الموالاة بين المؤمنين وبيَّن أنَّ ذلك من لوازم الإيمان))[3].

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ١٠٣/٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٨/٤.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٠/٢٨.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ((أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[(١)].

قال ابن الأثير[(٢)] –رحمه الله: ((معنى أرصده أقعده، وأراد وَكَّل له حفظ المدرجة، وهي الطريق))[(٣)].

لقد كانت زيارة الرجل من أجل الله، لذلك أحبه الله تعالى، وهذا أعظم أثر من آثار المحبة الصادقة بين المؤمنين، فقد قبض السعادة من ظفر بحب الله.

يسعد المؤمن بحب أخيه من أجل حماية الدين، والعرض، والمال، والنصح، وقضاء الحاجات، والعون على البر والتقوى، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢).

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا

(١) صحيح مسلم ٨/١٢، كتاب: الإيمان، باب: فضل الحب في الله، رقم الحديث [٦٧١٤].

(٢) الحافظ مجد الدين علي بن الأثير الشيباني الجزري، المحدث اللغوي، العالم بالصحابة والتاريخ، ولد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ وانتقل إلى الموصل، وكانت داره مجمع الفضلاء، من مؤلفاته جامع الأصول في أحاديث الرسول والنهاية في غريب الحديث والأثر، مات سنة ٦٣٠هـ، طبقات الحفاظ للسيوطي ٤٩٥/١، والأعلام للزركلي ٢٧٢/٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥٤٩/٢، باب: الراء مع الصاد (بتصرف).

**اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))**[1].

**وجعل الشرع قيام المؤمن على مصالح أخيه جهاداً في سبيل الله، قال زَيْدُ بْن خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ – رضي الله عنه – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا))**[2]**، وبذلك يحبب الشرع في إثراء روح الوصال بين المؤمنين في كل الأحوال والأوقات.**

**وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه–: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[3].

**ومن الفهم السليم لمحبة المؤمنين مراعاة الحقوق الواجبة بينهم، ومنها ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ**

(١) صحيح مسلم ٢٠/٨، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث [٦٧٥١].

(٢) صحيح مسلم ٤١/٦، كتاب: الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم الحديث [٥٠١١].

(٣) صحيح البخاري ٨٦٢/٢، (واللفظ له)، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث [٢٣١٠]، وصحيح مسلم ١٨/٨، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث [٦٧٤٣].

**اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))**[١].

**يسعد المسلمون بتواصلهم الاجتماعي، وإشاعة السلام بينهم وإجابة دعوة بعضهم لبعض، وإذا عطس عاطس منهم فحمد الله قامت بينه وبين أخيه وشائج التواصل بالدعوات، وعند زيارته في مرضه يزداد شعوره بعمق المحبة وصدق الإخاء، وإن فارق الدنيا تتواصل بينهم حقوق مبيَّنات؛ أولها غسله ثمَّ الصلاة عليه، فدفنه وستره، وتنفيذ وصيته، وتعزية أهله، ثمَّ الدعاء المستمر له، وتلك آثار المحبة الصادقة النافعة، التي تورث أصحابها السعادة الحقيقية في الأولى والآخرة.**

**ومنع الشرع كل ما يقود إلى تفريق المسلمين وتناكر قلوبهم، ومما ينحر بهجة المحبة بين المؤمنين الحسد والظلم والاحتقار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))**[٢].

**لقد جعل الشرع من تمام الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وذلك فيما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ صلى الله**

(١) صحيح البخاري ٤١٨/١، كتاب: الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، رقم الحديث [١١٨٣]، صحيح مسلم ٣/٧، (واللفظ له)، كتاب: السلام، باب: من حق السلم للمسلم رد السلام، رقم الحديث [٥٧٧٨].

(٢) صحيح مسلم ١٩٨٦/٤، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم الحديث [٦٧٠٦].

**عليه وسلم قَالَ: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**[1].

**ليس حب المؤمن لأخيه المؤمن إدعاء بالألسن، وإنَّما هو حقيقة يجب أن تظهر في واقع الحياة، ولا شك أنَّ في ذلك خيراً يعود على جميعهم، وإنَّ الشرع لا يأمر إلا بخير، وتتمثل ثمرة ذلك الحب في اجتماع القلوب المؤمنة وشيوع المودة بينها، في صفاء وتراحم وإيثارٍ يُسطَّرُ في صفحات الأيام بحروف من نور، ويحفظ في تاريخ الإنسانية؛ ليظل شاهداً ودليلاً على أثر الإيمان في النفوس، فإنَّ أنفس البشر قد جبلت على حب من يحبها، ورحمة من يرحمها.**

**إنَّ القلب المحب لله ولرسوله وللمؤمنين قلب يملؤه الخير والإيمان، يشعُّ نوره ولو لم تمسسه نار، تظهر على وجه حامله السكينة والوقار، تعلوه الابتسامة والفرح والسرور بإخوانه المسلمين في كل مكان.**

**ومتى سلم المجتمع من البعد عن الله، ومن السخرية، والشحناء والبغضاء والهمز واللمز والحقد وسوء الظن بالناس، وضيَّق سبل الخلاف والشقاق وسوء الأخلاق؛ فقد رفرفت في سمائه أعلام السلام، ولوَّحت بأكفها في أنحائه تباشير السعادة والوِئام، فتعافى أهله من التعاسة وضيق الصدر وشؤم الفرقة، وسادت في أرجائه السماحة وحب الخير، وصفاء النفس والرضا، فدخلوا حديقة السعادة من أوسع أبوابها.**

---

(١) صحيح البخاري ١/١٤، (واللفظ له)، كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث [١٣]، صحيح مسلم ١/٤٩، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أنَّ من خصال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحبُّ لنفسه من الخير، رقم الحديث [١٧٩]

## المطلب الثالث: تحقيق عقيدة الإيمان بالقدر

**تعريف القدر لغة: يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته، فالقدر: مبلغُ كلِّ شيء، يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه، وكذلك القَدَر، وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير**(١).

**تعريف القدر اصطلاحاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: ((هو إرادة اللَّهِ العَامة وخَلْقه لأَفعَال العباد))**(٢).

**الفرق بين القضاء والقدر:**

**وفرق بعض العلماء بين القضاء والقدر فقال ابن حجر –رحمه الله: ((قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله))**(٣).

**ومنع التفريق بعضهم؛ فقال ابن الأثير –رحمه الله: ((القضاء والقَدَر أمران مُتَلازِمان لا يَنْفَك أحدُهما عن الآخَر لأنَّ أحدَهُما بمَنْزلة الأساس وهو القَدَر والآخَرَ بمنزلة البِناء وهو القَضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هَدْم البِناء))**(٤).

**وقال شيخنا ابن عثيمين –رحمه الله: ((الراجح: أنهما إن قرنا جميعاً**

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦٢/٥، باب: (قدر)، ن/ دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ)، ت/ عبد السلام هارون.

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية ١٦٦/١٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٤٧٧/١١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٢٥/٤، باب: القاف مع الضاد.

**فبينهما فرق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد، فعند اجتماعهما يكون معنى القدر تقدير الله للشيء في الأزل، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه))[1].**

**وهذا جمع موفق؛ وإنَّ كثيراً من المفردات المتقاربة عندما تجتمع يدل بعضها على بعض كلفظ الإيمان والإسلام، والكفر والإلحاد؛ إذا اجتمعا افترقا في المعنى، وإذا افترقا دلَّ الأوّل على الثاني.**

**يلتقي معنى القدر اللغوي والاصطلاحي في النهايات وكنه الشيء، فأقدار الله تعالى هي ما أراده سبحانه لحقيقة الأشياء، وما عيَّنه عز وجل لها وقدره؛ فهي لا تتجاوز قدرها وما حده الله لها.**

**إنَّ أحداث الدنيا تجري وفق ما أراده الله وقدره، ولا مانع لما أراده الله وقضاه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ (التوبة: ٥١)، وقال جلَّ وعلا: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب: ٣٨)، وقال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ (الحديد: ٢٢).**

**قال الطبري –رحمه الله: ((الضمير في نبرأها عائد على النفوس أو الأرض أو المصائب أو الجميع؛ أي من قبل أن نخلقها))[2]، وقال ابن كثير**

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين في العقيدة لابن عثيمين ٧٩/٢، ن/ دار الوطن، (١٤١٣هـ)، ت/ فهد بن ناصر السليمان.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢٣٣/٢٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٧/١٧.

–رحمه الله: ((والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها))[١].

فما من مصيبة تقع إلا بإذن الله تعالى بعد علمه وإرادته، وقدره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠).

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: ((كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلىَ اللهُ عَلِيهِ وَسَلَّمَ يَوْمَاً فَقَالَ: يَا غُلاَم إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احفَظِ اللهَ يَحْفَظَك، احفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إذَا سَألتَ فاسْألِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاْستَعِن بِاللهِ، واعلَم أنَّ الأُمةَ لَو اجْتَمعتْ عَلى أَن يَنفَعُوك بِشَّيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَّيءٍ قَدْ كَتبَهُ اللهُ لَكْ، وَلو اجْتَمعُوا عَلى أَنْ يَضرُوكَ بِشَّيءٍ لَمْ يَضرُوكَ إلا بِشَّيءٍ قَدْ كَتبَهُ اللهُ عَليك، رُفِعتِ الأَقلاَمُ وَجَفتِ الّصُحُفُ))[٢].

يقرر الشرع ويؤكد أنَّ قضاء الله وقدره واقع لا محالة، ولن يصيب ضُرٌّ إلا بإذن الله، وفقَ ما قدره جلَّ وعلا، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ (يونس: ١٠٧).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنه– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ((كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٤/٤.

(٢) سنن الترمذي ٦٦٧/٤، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث [٢٥١٦]، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت/ أحمد شاكر وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ٣٨١/٥ رقم الحديث [٢٣٨٢].

**السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))**[1].

**تحل السعادة في قلب من آمن بأنَّ الأقدار تجري بأمر الله الذي أراده، ولا يكون إلا ما أراده سبحانه، فقد علم الله بكل شيء منذ الأزل، وكتب عز وجلَّ ما أراد أن يكون، وشاءه وخلقه، وقدره، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾** (الفرقان: ٢)، **يتعبد المؤمن الله تعالى بالرضا والقبول والتسليم لأمره وحكمه وقضائه، ويؤمن بمراتب القدر كلها**[2].

---

(١) صحيح مسلم ٥١/٨، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث [٦٩١٩].

(٢) للقدر أربعة مراتب وهي على النحو الآتي: المرتبة الأولى: العلم: ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٧) وقال ابن عباس –رضي الله عنهما–: ((علم الله ما يكون قبل أن يخلقه)) انظر: كتاب الاعتقاد للإمام البيهقي ٥٩/١، ن/ دار الآفاق الجديدة، المرتبة الثانية: الكتابة: كتب الله مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠) ومن أدلة كتابة القدر حديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (( إنَّ أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال ربِّ وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)) أخرجه: الحاكم في المستدرك ٤٩٢/٢، وقال: صحيح الإسناد، كتاب: التفسير، رقمه [٣٦٩٣]، سنن الترمذي ٤٥٧/٤، وحسنه، كتاب: القدر، رقمه [٢١٥٥]، سنن البيهقي الكبرى ٢٠٤/١٠، كتاب الشهادات، باب: ما ترد به شهادة أهل الأهواء، رقمه [٢٠٦٦٤]، سنن أبي داود ٣٦٢/٤، كتاب: السنة، باب: القدر رقم الحديث [٤٧٠٢]، المرتبة الثالثة: المشيئة: دليها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٩) فما وجد موجود إلا =

**كان الإمام أحمد–رحمه الله– يدعو ويقول: ((اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواه، كما قال: (وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله))**[(١)].

**يوقن المؤمن بأنَّه يتقلب في أقدار الله، بين صبرٍ وشكرٍ؛ إن ابتلي صبر، وإن أعطي شكر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾** (الملك: ٢)، **وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله**

---

= بمشيئة الله، ومما يجب أن يعلم أنَّ أمر الله تعالى نوعان؛ أمر كوني قدري، والثاني أمر ديني شرعي، فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وهي تتعلق بما يحب ويكر، كل ذلك داخلٌ تحت مشيئته سبحانه، ومن ذلك أنَّه خلق إبليس والأفعال المسخطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأمَّا محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني، وشرعه الذي شرعه وارتضاه، فما تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كالطاعات، وأما ما وجد من الكفر والفسوق تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى قسمين، إرادة كونية وهي: المشيئة، وإرادة دينية شرعية وهي المحبة، المرتبة الرابعة: الخلق: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الزمر: ٦٢)، خلق الله كل شيءٍ وفق مشيئته وحكمته، انظر المراتب مع أدلتها في المراجع الآتية: كتاب شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص ٢٩. ٦٤، وكتاب القضاء والقدر للشيخ محمد العثيمين ص ٢٠ . ٢٤، وكتابه: القضاء والقدر ومسئولية الإنسان ص ٢٠ . ٢٣.

(١) انظر قول الإمام في جامع العلوم والحكم١/١٩٢، ن/ دار المعرفة، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ).

**صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرَاً يُصِبْ مِنْهُ))[1].**

**فما من ألمٍ أو همٍ أو مرضٍ أو موتٍ، أو خسارةٍ ماليةٍ، أو فواتِ محبوبٍ، إلا بإذن الله وقدره سبحانه، وليس للعبد اختيار في ما يصيبه، وإنَّ المصائب كفاراتٍ، فهنيئاً لأهل المصائب صبرهم ورضاهم عن ربهم.**

**وأنشد ابن عرفة النحوي[2] :**

**أرغب إلى الله ولا ترغب إلى أحد أما رأيت ضمان الواحد الصمد**

**الله رازق هذا الخلق كلهم حتى يفرَّق بين الروح والجسد.**

**وله أيضاً في الرضا:**

**رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي**

**فقد أحسن الله فيما مضى ويحسن إن شاء فيما بقي[3]**

(١) صحيح البخاري ٥/٢١٣٨، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرضى، رقم الحديث [٥٣٢١].

(٢) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله، ولقبه نفطويه، من أحفاد المهلب، ولد بواسط سنة ٢٤٤هـ، إمام في النحو وكان فقيهاً، ظاهرياً، جالس الملوك والوزراء، وكان دميم الخلقة، من مؤلفاته، كتاب التاريخ، وغريب القرآن، وكتاب الوزراء، وأمثال القرآن، مات ببغداد سنة ٣٢٣هـ، انظر: الأعلام للزركلي ١/٦١.

(٣) ذكر قول عامر والأبيات الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان ٢/١١٢،الباب: الثالث عشر، الرقم [١٣٢٧-١٣٢٨]، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٠هـ)، ت/ محمد السعيد زغلول.

إنَّ للإيمان بالقدر أثراً بالغاً في تحقيق السعادة ونزول الرحمة والاهتداء، قال تعالى: ﴿...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧).

قال الخطيب الشربيني[(١)] –رحمه الله: ((وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل باللسان مع القلب، بأن يتصوّر ما خلق لأجله، فإنَّه راجع إلى ربه، ويتذكر نعم الله عليه؛ فيرى ما أبقى عليه أضعاف ما استردّه منه))[(٢)].

يصلي الله تعالى على الصابرين ويشهد لهم بالاهتداء، ومن أكثر من قول (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) وتدبر تلكم الكلمة العظيمة وجد في نفسه راحةً، وفي قلبه رضاً، فكل الخلق مصابون وكلهم إلى الله راجعون، وهكذا يتلمس المرء السعادة ليتناولها وإن كانت بين الحجب، وفي أصعب الظروف وأحرج المواقف.

وتلك أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– ظفرت بما لم تظفر به امرأة قط؛ إنَّها ظفرت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لمَّا مات زوجها فصبرت ورضيت بقضاء الله، وقالت ما يحبه الله أن يقال عند المصائب، فتزوجت رسول الله فأصبحت من أمهات المؤمنين، وهي تروي قصتها وتقول: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ

(١) شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، من مصنفاته، السراج المنير في تفسير القرآن، ومغني المحتاج، وشرح منهاج الطالبين، وشذرات الذهب، ومناسك الحج، توفي سنة ٩٧٧هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٦/٦.

(٢) السراج المنير للشربيني ١/١٢٠، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدن تاريخ.

فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا))، قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم))[1].

ويسعد المؤمنون بالقدر، بهداية قلوبهم، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن: ١١).

قال ابن الجوزي –رحمه الله–: ((يهديه لليقين فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعن ابن عباس: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من قبل الله تعالى فيسلِّم ويرضى))[2].

وقال الشاعر:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأنَّ المرء غير مخلد

أوَ ما ترى أنَّ المصائب جمة ... وترى المنيَّة للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيل لست فيه بأوحد

فإذا ذكرت محمداً ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبيِّ محمد[3]

(١) صحيح مسلم ٣/٣٧، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة، رقم الحديث [٢١٦٥].

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨/٢٨٣.

(٣) ذكر الأبيات القرطبي في تفسيره ونسبها لأبي العتاهية، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٧٦.

**وقال الفخر الرازي[١] –رحمه الله: ((قال ابن مسعود: لأنْ أخِر من السماء أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يكن))[٢].**

**فلْيستسلم كل مصاب للقدر قبل أن يفجع مرتين؛ الأولى بالمصيبة، والأخرى بفوات أجرها.**

**ومن الرضا بالقدر ترك التحَّسر على ما مضي وفات من أفعالٍ وأقوالٍ قد غمرها تقلب الليل والنهار، أو طوتها حقب الزمان، ولا تخفى على العقلاء الآثار السيئة التي تعود على النفس من جراء التحسُّر واستجلاب الغم، والله لا يحب من عبده أن يحبس نفسه في مآسي الأحزان، وإنَّما يفعل ذلك الشيطان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾** (المجادلة: ١٠).

**وقال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾** (الحديد: ٢٣)، **قال ابن عباس –رضي الله عنهما– في تفسير الآية: ((ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن من جعل المصيبة صبراً، وجعل الفرح شكراً))[٣]، ومعنى كلامه: أنَّ المؤمن إذا أصابه الحزن تصبَّر**

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين أبو عبد الله الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ، صنَّف التفسير الكبير وسماه مفاتيح الغيب، وفسَّر الفاتحة في مجلد مستقل وضخم سماه مفاتيح العلوم، وله عيون الحكمة في الفلسفة، ومصنفاته كثيرة مذكورة في وفيات الأعيان، وقد كانت وفاته في يوم الفطر سنة ٦٠٦هـ ، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ٢١٣/١ . ٢١٤، والأعلام للزركلي ٢٠٣/٧.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٤١/٤، (بتصرف) ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٢١/٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، =

**واحتسب، وحبس نفسه عن السخط والجزع والاعتراض على قدر الله، وكذلك إن مسه الخير فإنَّه يحبس نفسه عن البطر والكبرياء والغرور.**

**وقال عز من قائل: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** (آل عمران: ١٥٣).

**قال الألوسي[1] –رحمه الله: ((والأكثرون على أنَّه لا فرق بين الغم والحزن، أي جازاكم غماً متصلاً بغم، والغمُّ الأوَّل ما حصل لهم من القتل والجرح وغلبة المشركين عليهم، والغمُّ الثاني ما حصل لهم من الإرجاف بقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفوت الغنيمة))[2].**

**وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾** (آل عمران: ١٥٦)،

---

= كتاب: التفسير، تفسير سورة الحديد، رقم الحديث [٣٧٨٩].

(١) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ولد سنة ١٢١٧هـ جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في زمانه، من مصنفاته، روح المعاني، نشوة الشمول في السفر إلى اسطمبول، وغيرها، مات ببغداد سنة ١٣٤٢هـ انظر: الأعلام للزركلي ١٧٦/٧، ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر كحالة ١٧٥/١٢، ن/ دار إحياء التراث العربي، والتفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ٣٥٢/١ ، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٢، (١٩٩٦م).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٩٢/٤، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت،.

**الشاهد في الآية (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) قال ابن كثير –رحمه الله: ((خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتهم وقتْلهم))[١].**

**قال المناوي[٢] –رحمه الله: ((مفرج الأحزان والكروب الإيمان بالقدر))[٣].**

**إنَّ التألَّم للماضي تعاسة وشقاء، والحزن لمآسيه قتلٌ لإرادة الإنسان، وضياعٌ للحياة الحاضرة، ولو اجتمع الناس على رد أمر قد انقضى ما استطاعوا، والناجحون في حياتهم لا ينظرون إلى الوراء تحسُّراً، ولا يلتفتون إلى ما مضى تندُّماً، بل تسير قافلتهم إلى الأمام على هدى من ربهم، في ثباتٍ وثقةٍ واطمئنان.**

**إنَّ المؤمن إذا استيقن بقدر الله لا يتخبط في بيداء التيه، ولا يرتع في وساوس لو أنّي فعلت كذا، كان كذا وكذا.**

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٧/٢.

(٢) محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي القاهري، ولد سنة ٩٥٢هـ بالقاهرة، أكثر من التأليف، ومن كتبه: كنوز الحقائق في الحديث، وشرح الجامع الصغير، وتاريخ علماء الأندلس، وفيض القدير، وشرح القاموس المحيط، وغيرها كثير، مات بالقاهرة سنة ١٠٣١هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٢٠٤/٦.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٦٦٩/١، (فصل الفاء).

**تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))[1].**

**قال الشاعر:**

**إذا بُليتَ فثق باللهِ وارضَ بهِ إنَّ الذِّي يكشفُ البلوى هو اللهُ**

**إذا قَضَى اللهُ فاستسلم لقدرتِهِ ما لامرئٍ حيلة فيما قضَى اللهُ**

**اليأسُ يقطعُ أَحْيَاناً بِصَاحِبِهِ لا تيأسنَّ فإنَّ الصانعَ اللهُ[2].**

**يجدد المؤمن عقيدة الإيمان بالقدر في قلبه لا سيَّما عند المصائب، ويتعاهد نفسه ويتفقدها عند جزعها؛ ليحملها على الصبر والرضا بالأقدار المؤلمة، فإنَّ عوائد الإيمان تسعد، ولا يستسلم السعداء للأوهام التي لا تقبلها النفوس الأبية، ولا الهمم العلِّية، فاجعل من حاضرك أيَّاماً زكية، ومن ماضيك توبة نقية، وإنَّ الله يغفر الماضي بالتوبة النصوح[3] ليصلح الحاضر بالجد والعمل الصالح، فانهض بنفسك مستعيناً بالله على طاعته متفائلاً بتوفيقه**

(١) صحيح مسلم ٥٦/٨، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، رقم الحديث [٦٩٤٥].

(٢) ذكر الأبيات الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف ١٥١/٢، (ولم ينسبها) ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٩٨٦م)، ت/ د.مفيد قميحة، وانظر: المحاسن والأضداد لأبي عثمان البصري١١٢/١، ن/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، (١٤١٥هـ)،

(٣) شروطها: ١/ الإخلاص لله ٢/ الندم على ما فعل من الذنب ٣/ الإقلاع عن الذنب بترك المعصية، أو فعل الواجب إن كان الذنب بترك الواجب ٤/ العزم على ألا يعود، يعني لا يتوب وهو عازم على أن يعود متى سنحت الفرصة٥/ أن تكون التوبة في وقت القبول، ٦/ أن يرد المظالم إلى أهلها، انظر: رياض الصالحين للإمام النووي ٢١/١ ت/ الدكتور/ ماهر ياسين الفحل.

**وفضله، ولا تيأس كي تسعد.**

## المطلب الرابع: حسن الخلق

**تعريف الخلق لغة:**

**الخُلُقُ بسكون اللام وضمها السَّجِيَّة، لأنَّ صَاحِبَه قَدْ قُدِّر عَلِيه، وَيُقال فُلانٌ خَلِيقٌ بِكَذَا، وأَخْلِقْ به، أي: مَا أَخْلَقَهُ، أي هُو ممَّن يُقدَّر فيه ذلك، ويقال: فُلانٌ يَتَخَلَّقُ بِغَيرِ خُلُقِه أي: يَتَكَلَّفُهُ**(١).

**الخلق اصطلاحاً:**

**قال الجرجاني**(٢) **–رحمه الله: ((عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية))**(٣).

**وقال ابن الأثير –رحمه الله: ((صُورة الإنْسانِ البَاطنة، وهي نفْسُه وأوْصافُها ومَعانِيها المُخْتصَّة بها بمنزلة الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَاهِرَةِ وأوْصافِها ومَعانِيها))**(٤).

**نخلص من التعريف اللغوي والاصطلاحي إلى أنَّ الخلق طبيعة راسخة**

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢١٤، باب: (خلق)، ن/ دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ) ت/ عبد السلام هارون، ومختار الصحاح للرازي ١/١٩٦، (خلق).

(٢) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، وولد بجرجان سنة ٧٤٠هـ، وتعلم بشيراز، من مصنفاته: حاشية على أول تفسير الكشاف، والتعريفات، وتقسيم العلوم، وفن أصول الحديث، مات بشيراز سنة ٨١٠هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٥/٧، وطبقات المفسرين لأحمد الأدنروي ١/٣١١.

(٣) التعريفات للجرجاني ١/١٣٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير٢/١٤٤، باب: الخاء مع اللام.

**في نفس الإنسان، لا يتغير بتغير الأحوال والأوقات، وقد يطرأ على النفس خلق عارض، ولكنَّ صاحبه لا يوصف به؛ لأنَّه لم يعرف به، فقد يحلم الغضوب، وقد يجود البخيل، وليس ذلك بخلقٍ لهما، بل هي سحابة صيف تعرض أحياناً على القلوب.**

**هل الخلق جبلي أم كسبي؟**

**إنَّ الأخلاق جبلِّية متأصلة في أنفس البشر، ولكنَّ منها ما هو مكتسب، يكتسبه الإنسان عن طريق العلم والممارسة والتعوّد وحمل النفس على التّصبُّر والتحسُّن المستمر، وقد دلت الأدلة على الأمرين، فمن الأدلة على جبلية الأخلاق وتأصلها في النفس الآتي:**

**قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ –رضي الله عنه– ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))(١).**

**وفي رواية: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ ((بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا)) قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ))(٢).**

(١) صحيح مسلم ٣٦/١، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، رقم الحديث [١٢٦].

(٢) انظر هذه الرواية في: سنن أبي داود ٥٢٥/٤، كتاب: الأدب، باب: في قُبلة الجسد، رقم الحديث [٥٢٢٧]، وسنن الترمذي ٣٦٦/٤، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب، كتاب: البر والصلة، باب: التأني والعجلة، رقم الحديث [٢٠١١]، المعجم الكبير للطبراني ٢٧٥/٥، باب: الزاي، (زارع العبدي)، رقم الحديث [٥٣١٣].

**ومن الأدلة على إمكان العبد كسب الأخلاق الفاضلة: ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ –رضي الله عنه– أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: ((مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لا أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وإِنَّهُ مَنْ يسْتَعِف يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلنْ تُعْطَوا عَطاءً خَيراً، وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))**[(١)].

**الحديث يحث على حمل النفس على العفة والصبر والغنى وإلزامها بهذه الصفات الحميدة، ولو بالمشقة والمدافعة والتكلف والتصنع، وكل ذلك من أجل تمرين النفس وتعويدها على كسب صالح الأخلاق.**

**قال ابن حجر –رحمه الله: ((من يستعف أي: يمتنع عن السؤال، وقوله: يعفه الله، أي: إنّه يجازيه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته، وقوله: ومن يستغن، أي: بالله عمن سواه، وقوله: يغنه، أي: فإنّه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنى))**[(٢)].

**دلَّ الحديثان السابقان على أنَّ من الأخلاق ما هو جبلي من الله، ومنها ما هو مكتسب، يكتسبه العبد بالتعلم والدربة، والسعيد من يسعي لكسب ما يفتقده من أخلاق حميدة، ليرقى في سُلّم الكمال الخلقي شيئاً فشيئاً.**

**الخلق الحسن سمة عظيمة، وحُلَّة كريمة، لا يتحلى بها إلا كرام الناس،**

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٣٧٥، (واللفظ له)، كتاب: الرقاق، باب: الصبر عن محارم الله، رقم الحديث [٦١٠٥]، صحيح مسلم ٣/١٠٢، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، رقم الحديث [٢٤٧١].

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/٣٠٤ (بتصرف يسير).

ولمَّا مدح الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم مدحه بحسن الخلق، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

وقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(آل عمران: ١٥٩).

قال الشربيني –رحمه الله: ((كان رحيماً بهم كريماً يتجاوز عن ذنوبهم، ويعفو عن سيئاتهم ويخصهم بالبر والشفقة؛ فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مبرأً عن سوء الخلق وغلظ القلب، ويكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، كثير القيام بإعانة الفقراء))[1].

وأمر الله عباده بتحري الخلق الحسن في معاملة الناس ومخالطتهم، وأن يتحرى المسلم الإحسان إليهم بالقول الجميل والفعل الحسن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦).

جمعت الآية مع الأمر بعبادة الله تعالى حسن الخلق في التعامل مع الخلق، وبدأت بالوالدين ثم عطفت عليهم الأقارب، وأوصت خيراً باليتيم والمسكين، ثمَّ أمرت بالإحسان إلى الجيران، والأقرب فالأقرب.

قال المفسرون: ((بعد ما أمر الله بعبادته والقيام بحقه، أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب، فأمر بالإحسان إلى الوالدين، ويشمل ذلك الإحسان

(١) السراج المنير للشربيني ١/٢١٠.

إلى جميع الأقارب، وأمر بالإحسان إلى الأيتام، والمساكين الذين أسكنتهم الحاجة فلم يحصلوا على كفايتهم، كما أمرت بمراعاة حقوق الجوار من الأقارب وغيرهم، والصاحب بالجنب وهو الصاحب مطلقاً، وابن السبيل هو الغريب سواء كان غنياً أو فقيراً، وما ملكت أيمانكم من الآدميين والبهائم، يجب حسن التعامل مع جميع المذكورن في الآية، ومن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، ومن لم يقم بذلك فإنَّه عبد معرض عن ربه))[(١)].

يحول كبرياء النفس وغرورها بين العبد وحسن الخلق، ولا يراعي حقوق المسلمين، ولا يتأدب معهم إلا من تمتع بحسن الخلق والبشاشة، وكانت الابتسامة المشرقة تعلو محياه، ورأس حسن الأخلاق القول الحسن، وقد وورد في كتاب الله الأمر بحسن القول مطلقاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣)، قال الطبري –رحمه الله: ((لين القول من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه))[(٢)]، وقيل: ((كلموهم طيبًا، ولينُوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف، والحلم، والعفو، والصفح، وكل خُلُق حسن رضيه الله))[(٣)].

وفي الحديث الجامع للمكارم والشمائل يقول أَبُو هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/١٧٧ (بتصرف).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/٢٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣١٧.

**عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))**(١).

**الخلق الحسن جميل كاسمه، وعظيم كنفعه؛ فإنّه سحرٌ جذَّاب، وخير دفّاق، وإنّ صاحبه ليجد ممن حوله من البشر والحيوان حسن التعامل والاحترام، يجد خفض الجناح وسماحة التقدير، فيكرم لِحسن خُلُقه، ويرفع لتواضعه، ويُرحم لعطفه ولين جانبه، يألف ويؤلف لسهولة تعامله، وكريم طباعه، وحسن أخلاقه، وتلكم أوشحة السعادة قد ألقت بكنفها عليه.**

**وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ))**(٢).

**قال المناوي –رحمه الله: ((المؤمن يألف لحسن أخلاقه، وسهولة طباعه،**

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٧٠/٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء، باب: دلائل النبوة، رقم الحديث [٤٢٢١]، سنن البيهقي الكبرى ١٩١/١٠، (واللفظ له)، كتاب: الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق، رقم الحديث [٢٠٥٧١]، وقال الألباني: الحديث صحيح رواه البخاري في الأدب المفرد ومالك في الموطأ وأحمد وغيرهم، انظر: السلسلة الصحيحة ٧٥/١ رقم الحديث [٤٥].

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٧٣/١، (واللفظ له)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه، كتاب: الإيمان، رقم الحديث [٥٩]، سنن البيهقي الكبرى ٢٣٦/١٠، كتاب: الشهادات، باب: شهادة أهل العصبية، رقم الحديث [٢٠٨٨٦]، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٧١٠/١ رقم الحديث [٤٢٥].

**ولين جانبه، وفي رواية: (المؤمن ألف مألوف) والألف اللازم للشيء، (ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) لضعف إيمانه، وعسر أخلاقه، وسوء طباعه، والألفة سبب للاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الإجماع بين المسلمين، وبضده تحصل النفرة بينهم، والإنسان لا يصلح حاله إلا الألفة الجامعة؛ فإنَّه مقصودٌ بالأذية محسودٌ بالنعمة))[(١)].**

**بحسن الخلق يدرك المؤمن السعادة وسط مجتمعه وأقرانه، وأفراد أسرته وجيرانه، فتحلو الحياة وتصفو من الأكدار، وسوء الجدال، وكثرة القيل والقال.**

**قال ابن القيم –رحمه الله: ((فساد الخُلُق إنما ينشأ من توسط الخلق بينك وبين الله تعالى، وتوسط النفس بينك وبين خلقه، فمتى عزلت الخلق حال كونك مع الله تعالى، وعزلت النفس حال كونك مع الخلق، فقد فزت بكل ما أشار إليه القوم، وشمروا إليه، وحاموا حوله))[(٢)].**

**يشير الإمام ابن القيم –رحمه الله– إلى حسن الخلق عن طريق الإخلاص لله تعالى، ومراعاة رضاه في كل الأحوال والأوقات، والبعد عن الرياء، وحسن التعامل مع الناس، والتجرد عن مطامع النفس المستقبحة عند مخالطة الناس.**

**يخلص المؤمن نيته لله تعالى ويهضم نفسه عند مخالطة الناس، ويربو في سموٍ ليتحمل أخطاءهم ويعرض عن جهالاتهم وإساءاتهم، فيفوز بقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾** (الأعراف: ١٩٩).

(١) فيض القدير للمناوي ٣٢٩/٦ (بتصرف).

(٢) مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٣٢٧/٢، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٣هـ)، ت/ محمد حامد الفقي.

**قال البغوي –رحمه الله– في تفسير الآية: ((أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية))[1].**

**وهكذا تتجلى السعادة في أسمى معانيها عند حسن الخلق وطيب النفس وصفاء القلب، والصبر على جهل الجاهلين، فيرتفع الإنسان بذلكم الخلق العظيم فوق أعلى الروابي الشماء؛ عندما يحسن إلى الجهلاء، وضعاف العقول، مستشعراً قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾** (الفرقان: ٢٠).

**يتحمل أذى الناس من يتأمل هذه الآية، لأنَّه يعلم أنَّ بعض الناس جعلهم الله بلاءً وامتحاناً للمخلصين، وكل من يخالط الناس لا يسلم من أذاهم، وعند الأذى وظهور بارقة الشيطان يظهر صاحب الخلق الحسن في أجمل صورة، وأبهى حلة.**

**يحقق الخلق الحسن السعادة داخل البيت مع أفراد الأسرة، وعند بر الوالدين وحسن الملاطفة والمصاحبة لهما، فتخرج من قلبيهما صادق الدعوات لِتُفتح لها أبواب السموات، فتتنزل السعادة بكامل زينتها، وجميل بهجتها، وكريم عطائها، على تلكم النفس الخلوقة، وقد بشَّر نبينا –صلى الله عليه وسلم– باستجابة دعاء الوالدين[2] فهنيئاً لمن يحسن في برهما، فيزيده الله**

(١) معالم التنزيل للبغوي ٣/٣١٦.

(٢) من الأدلة على استجابة دعاء الوالدين ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ، دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ =

**بدعائهما توفيقاً وفضلاً وسعادة.**

**ويظفر صاحب الخلق الحسن بنيله من الحسنات والأجور مثل أجر الصائم القائم، دل على ذلك حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))**(١).

**وأعلى من ذلك منزلة ورفعة ما رواه أبو الدرداءِ –رضي الله عنه– أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ))**(٢).

---

= وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ)) الحديث في: سنن أبي داود ٥٦٣/١، (واللفظ له)، كتاب: الوتر، باب: الدعاء بظهر الغيب، رقم الحديث [١٥٣٨]، وصحيح ابن حبان ٤١٦/٦، كتاب: الصلاة، باب: دعوة المسافر، رقم الحديث [٢٦٩٩]، سنن الترمذي ٣١٣/٤، كتاب: البر والصلة، باب: دعوة الوالدين، رقم الحديث [١٩٠٥]، وصححه الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ٤٠٦/٤، رقم الحديث [١٧٩٧].

(١) صحيح ابن حبان ٢٢٨/٢، كتاب: البر والإحسان، باب: حسن الخلق، رقم الحديث [٤٨٠]، وصححه الشيخ الأرنؤوط، سنن أبي داود ٤٠٠/٤ (واللفظ له) كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، رقم الحديث [٤٨٠٠]، وكذلك صححه الشيخ الألباني انظر: السلسلة الصحيحة ٤٣٧/٢، رقم الحديث [٧٩٥].

(٢) الأدب المفرد للبخاري ١٠٣/١، باب: حسن الخلق، رقم الحديث [٢٧٠]، سنن أبي داود ٤٠٠/٤، (واللفظ له) كتاب: الآداب، باب: في حسن الخلق، رقم الحديث [٤٨٠١]، سنن الترمذي ٣٦٣/٤، كتاب: البر والصلة، باب: حسن الخلق، رقم الحديث [٢٠٠٣]، وصححه الشيخ الألباني انظر: السلسلة الصحيحة ٥٦٣/٢، رقم الحديث [٨٧٦].

**وترتفع الدعوات من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن حسن خلقه في سوقه عند بيعه وشرائه، وفي جميع تعاملاته، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، سَمْحاً إِذَا اشْتَرَى، سَمْحاً إِذَا قَضَى))(١).**

**إنَّ صاحب الخلق الحسن يحمل السعادة والهناء، وينشرها حيثما توجه وانتقل، في بيته، وفي سوقه، وفي عمله، وأينما حلَّ وارتحل يتواضع مع عوامِّ الناس وضعفائهم، ولا يتعالى عليهم، بل يصبر على أذى سفهائهم، وينتقي أجمل العبارات وأحلى الكلمات؛ لينشر الفرح والْحُبور، ويشيع البهجة والسرور حيثما كان وبان.**

**وتحيط السعادة بصاحب الخلق الحسن عند الجلوس في الطرقات، فلا يؤذي أحداً وذلك لصفاء نفسه وسعادة قلبه، فقد روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ)) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))(٢).**

---

(١) صحيح البخاري ٢/٧٣٠، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث [١٩٧٠]، واللفظ للبيهقي في السنن الكبرى ٥/٣٥٧، باب: السهولة والسماحة في الشراء، رقم الحديث [١١٢٩٧].

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٣٠٠، كتاب: الاستئذان، باب: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا =

أكرم بذلك المجتمع الذي يراعي أجمل الآداب في أحسن الأخلاق، فلمَّا احتاج أهله إلى الجلوس في الأماكن العامة أتوها ولكن بأدبٍ رفيع، قد راعوا فيه مشاعر المارة وحقوقهم، ولم يؤذوهم بأدنى نوع من أنواع الأذى فهم يغضون النظر، ويكفون الأذى، ويردون السلام، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وإنَّما يفعل ذلك كرام الناس وخيارهم.

ومن سعادة الفائزين بالخلق الحسن مقدرتهم على العفو والصفح وكظم الغيظ، قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

قال ابن كثير –رحمه الله: ((أي: إذا ثار بهم الغيظ كظموه، بمعنى: كتموه فلم يعملوه، وعَفَوْا مع ذلك عمن أساء إليهم))[(١)]، ولا يدرك ذلك المقام ولا يستطيعه إلا من أحاطت بقلبه السعادة، فلم تزعجه مطامع نفسه ونزغات الشيطان.

ولك أن تتأمل أثر الخلق الحسن في جلب السعادة من خلال حديث ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قال: قَال رُسولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلِيهِ وَسلَّم: ((أَحَبّ النَّاسِ إِلى اللهِ أَنْفعُهُم للنَّاسِ، وَأحبَّ الأَعْمَالِ إلى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَو تَقْضِي عَنْهُ دَيناً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، وَلِأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحبّ إِلي مِنْ أَنْ أَعْتِكِفَ فِي هَذا المسجِدِ –يعني مَسجد

= تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) رقم الحديث [٥٨٧٥]، صحيح مسلم ١٦٥/٦، (واللفظ له)، كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات، رقم الحديث [٥٦٨٥].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٩/٢.

**المدينة– شَهْراً، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيظَهُ وَلُو شَاءَ أَنْ يُمضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْناً يَومَ القِيَامَةِ))**[1].

**تسعد المجتمعات بصاحب الخلق الحسن، ويستبشر عند رؤيته الصغير والكبير، فإنَّه أحبّ الناس إلى الله، النافع لهم بفعاله، المبشِّر لهم بأقواله، الكاشف لكربهم، القاضي لحاجاتهم، فهو مثل المطر أينما وقع نفع، وهو السعيد الْمُسعِد، تظهر عليه آثار حسن الخلق في صحته وعافيته، وأسارير وجهه**[2]**، فابسط وجهك للناس تكسب ودهم ويألفوك، وألن لهم الكلام**

(١) المعجم الأوسط للطبراني ١٣٩/٦، (واللفظ له)، رقم الحديث [٦٠٢٦]، ن/ دار الحرمين، القاهرة، (١٤١٥هـ)، ت/ طارق بن عوض الله والحسيني، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٠٨/٢، رقم الحديث [٩٠٦].

(٢) الأَساريرُ الخدّان والوجنتان ومحاسن الوجه وهي شآبيبُ الوجه، وسُبُحاتُ الوجه، انظر: لسان العرب ٣٥٩/٤، ن/ دار صادر بيروت، ووردت كلمة الأسارير في الحديث عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ فَقَالَ: ((أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا نَظَرَ آنِفًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأَقْدَامِ لَمِنْ بَعْضٍ)) الحديث في صحيح البخاري ١٣٠٤/٣ كتاب: المناقب، باب: صفة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث [٣٣٦٢]، وفي صحيح مسلم ١٧٢/٤، كتاب: الرضاع باب: العمل بإلحاق القائف الولد، رقم الحديث [٣٦٩٠]، وفي هذا الحديث يفرح النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة مجزز المدلجي، وذلك لأنَّ زيداً كان شديد البياض، وكان أسامة أسوداً شديد السواد، وكان بعض الناس يتهمون نسبه، ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الأعرابي العالم بالشبه، ولي أنْ أقول في هذا المقام: إنَّ هذا الفرح إنَّما يدل على حسن الخلق، وإنَّما يكره الإتهام الباطل صاحب الخلق الحسن، انظر للمزيد: سبل السلام للصنعاني ١٣٦/٤، ن/مكتبة مصطفى البابي، ط٤، (١٣٧٩هـ) =

**يحبوك، وتواضع لهم يجلوك، وتجاوز عنهم يعظموك، وهكذا تستطيع أن تصنع السعادة لنفسك بنفسك.**

## المطلب الخامس: القناعــة:

**تعريف القناعة لغة:**

**قال ابن منظور–رحمه الله: ((قانِعُ وقد قَنِعَ بالكسر يَقْنَعُ قَناعةً فهو قَنِعٌ وقَنُوعٌ، أَي رَضِيَ، والقُنُوعَ يكون بمعنى الرِّضا، وقد قَنِعَ بالكسر يَقْنَعُ قُنُوعاً وقَناعةً إِذا رَضِيَ وقَنَعَ بالفتح يَقْنَعُ قُنُوعاً إِذا سأَل))**[(١)].

**المعنى في اللغة الرضا والاطمئنان والسكون، ولعلَّ منها القِناع لأنَّه يغطي، والمغطى يناسبه السكون**[(٢)]**، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾**(الحج: ٣٦)**، قال المفسرون: ((القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال، من قنعت قنعاً وقناعة، والمعترَّ: المعترض بسؤال))**[(٣)].

---

= وفتح الباري لابن حجر ٢١٦/١، وعون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق ٢٥٥/٦، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٥هـ).

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٩٧/٨، مادة: (قنع)، وانظر مختار الصحاح للرازي ٥٦٠/١، (قنع).

(٢) قال الرازي –رحمه الله–: ((المِقْنَعَةُ بكسر أولهما ما تقنع به المرأة رأسها و القِنَاعُ أوسع من المِقنعة و أَقْنَعَ رأسه رفعه))، انظر: مختار الصحاح ٢٣١/١، (قنع).

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١٦٠/٣، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت/ عبد الرزاق المهدي، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب =

**تعريف القناعة اصطلاحاً:**

**هي السكون عند عدم المألوفات(١).**

**وقيل: الرضا وعدم التسخط عند فقد المحبوب المألوف، وهي من أعمال القلوب(٢).**

**يلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي في الرضا، وسكون النفس وعدم جزعها عند فقد ما تشتهيه، والقناعة لا تعنى ترك التكسب، ولا تعني رفض المزيد، فقد يكون القنوع من أكثر الناس مالاً، أو أعلاهم وظيفة ومرتبة، فهو يتقلب في النعم وصنوف الخيرات، ولكنه يحمل قلباً تملؤه القناعة.**

**الفرق بين والقناعة الزهد:**

**تعريف الزهد لغة:**

**هو ضِد الرَّغْبَة والحِرصُ عَلى الُّدنْيَا، والزَّهَادَةُ فِي الأَشْيَاءِ كُلهاَ ضِدُّ الرَّغبةِ(٣).**

**يشير المعنى اللغوي إلى الامتناع والإحجام والرفض، كل ذلك يدل على عدم الرغبة في الشيء وتجنبه.**

**تعريف الزهد اصطلاحاً:**

---

= العزيز لابن عطية ٦/٢٥٠.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١/٥٩٠، والتعريفات للجرجاني ١/٢٢٩.

(٢) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١/٤٣٠، ن/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (١٤١٢هـ).

(٣) لسان العرب لابن منظور ٣/١٩٦، مادة: (زهد).

**قال الجرجاني –رحمه الله: ((الزهد بغض الدنيا والإعراض عنها))[١].**

**ولعل في هذا التعريف شدَّة، فالدنيا لا تبغض لذاتها فهي مطيَّة العبد للآخرة، وهل فوز أهل الجنة إلا بأعمالٍ عملوها في الدنيا؟! ولكن لعل المقصود من التعريف بغض ما يقود إلى الركون إليها، وإيثارها على الآخرة.**

**ومن تعريف الزهد قول ابن الأعرابي[٢] –رحمه الله: ((الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون ذامك ومادحك في الحق سواء، وقيل: الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فاتك منها، ولا تفرح بما أتاك منها))[٣].**

**وقال ابن الأثير –رحمه الله– ((الزهد التَّقْلِيل من الدنيا، ومن الانْهمَاك فيها والاسْتِمتاع بلَذَّاتها، وقيل: أن لا يَغْلب الحَلالُ شكرَه، ولا الحرامُ صبرَه))[٤].**

**والمقصود بذلك أنَّ لا يلهي الحلال عن الشكر وأن لا يقصر الإنسان**

---

(١) التعريفات للجرجاني ١/١٥٣.

(٢) أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم، أبو سعيد ابن الأعرابي: مؤرخ من علماء الحديث، ولد بالبصرة سنة ٢٤٦هـ، من مؤلفاته: طبقات النساك (اطلع عليه الإمام الذهبي واقتبس منه)، وتاريخ البصرة، والزهد وصفة الزاهدين، والمواعظ والفوائد، انتقل إلى الحجاز وكان شيخ الحرم المكي، توفي بمكة سنة ٣٤٠هـ، الأعلام للزركلي ١/٢٠٨.

(٣) الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي١/٢٠-٢٢ (بتصرف)، ن/ دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١(١٤٠٨هـ) ت/ مجدي السيد.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٩٢٧.

**شكره فقط على ما رزقه الله من الحلال، بل يشكر الله على كل حال، وعلى سائر النِعَم–ونِعَم الله على العباد كثيرة لا تحصى ولا تعد– وكذلك أن لا يضعف صبره أمام الفتن فيقع في الحرام(١).**

**وخلاصة القول في الفرق بين القناعة والزهد؛ أنَّ الزهد يحمل على عدم الفرح بالدنيا والإعراض عن المباحات فيها، فهو عزوف عن الدنيا ومباهجها، والتقليل وعدم الإكثار منها، وأمَّا القناعة فهي الرضا وعدم التسخط على ما قسمه الله لعبده، مع الإقبال على الدنيا بمهل، والقانع يحمد الله على كل حال، وتطيب نفسه بما يجد، سواء وجد قليلاً أو كثيراً، والذي يعنيني منهما –أي الزهد والقناعة– في هذا البحث القناعة، لأنَّ القناعة تكسب الرضا وطيب النفس وسكونها، والفرح والاطمئنان بما قسم الله، وهذا ما يتناسب مع سعادة النفس الحقيقية، وأمَّا الزهد فهو صفة تكسب العبد الإعراض عن الدنيا بأشكالٍ متنوعةٍ، وكثيراً ما يكون الزاهد دائم الحزن، معرضاً عن كل جميلٍ مباح.**

**ينبغي لكل مسلم أن يقنع بما قسم الله له من الأرزاق والأقوات؛ وأن يعلم إن كان فقيراً ففي الناس من هو أفقر منه، وإن كان مريضاً ففي الناس من هو أشدَّ مرضاً منه، وإن كان مهموماً ففي الناس من هو أعظم هماً منه، والسعيد من ألجم نفسه بخلق القناعة، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾** (الذاريات: ٢٢) **قيل في تفسيرها: ((أي: الرزق عند اللَّه يأتي به كيف شاء سبحانه لا رَبَّ**

(١) ذكر ابن الأثير –رحمه الله– قريباً من هذا الشرح في موضع آخر من كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر ٨٠٣/٢.

غيرُه))[١].

إنَّ جميع الهبات بأنواعها المختلفة من الله تعالى، قسمها وحده سبحانه ولم يكِل أمرها لسواه، فمن آمن بذلك هدأت نفسه، وسكن غيظه، وانعدم حسده وقَنُع بما قسم له، وشغل نفسه بطاعة ربه، وسعد بصفاء قلبه.

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦)، لقد ضمن الله للناس وجميع الدواب الأرزاق في كتابه الكريم، ومن أصدق من الله قيلاً، فمن تأمل الآية وآمن بها لن يجد الهلع إلى قلبه سبيلا.

ومما يعين على اكتساب القناعة النظر إلى الأقل في أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه: ١٣١)، قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: ((أي: لا تمد عينيك معجباً، ولا تكرر النظر مستحسناً إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجمَّلة، فإنَّ ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجاباً بأبصار المعرضين، ويتمتع بها القوم الظالمون، ثم تذهب سريعاً، وتمضي جميعاً، وإنَّما جعلها الله فتنة واختباراً، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً))[٢].

إنَّ من تمام الرضا والاطمئنان أن لا يتبع الإنسان نفسه هواها

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣٠١/٥، ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ) ت/ محمد معوض.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي٥١٦/١، (بتصرف).

**ومشتهاها، فإنَّ شهوات النفس لا تنقضي ما دامت الروح في الجسد.**

**وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ))**(١).

**وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ))**(٢).

**في الحديث دواءُ لمطامع النفس الأمارة بالسوء، ولفت لأنظار الناس أن يتأملوا في حال الفقراء، ومن نظر إلى من هو فوقه أتعب نفسه وعلَّقها بالسراب، وأوردها الفتن والمهالك، فلا يأمن أن يلج على قلبه ازدراء النعمة.**

**قال النووي –رحمه الله– شارحاً الحديث: ((هذا حديثٌ جامعٌ لأنواعٍ من الخير لأنَّ الإنسان إذا رأى من فُضِّل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى))**(٣).

**قال الغزالي**(٤) **–رحمه الله: ((إنْ تفكرت في التنعم بالأكل فالحمار أكثر**

(١) صحيح البخاري ٥/٢٣٨٠، كتاب: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه، رقم الحديث [٦١٢٥].

(٢) صحيح مسلم ٨/٢١٣، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، رقم الحديث [٧٦١٩].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي ١٨/٩٧.

(٤) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد =

**أكلاً منك، وإن تفكرت في التنعم بالوقاع فالخنزير أعلى رتبة منك، وإن تفكرت في زينة اللباس والحلي ففي اليهود من هو أعلى زينة منك، وإن قنعت بالقليل والرضا به لم يشاركك في رتبتك إلا الأنبياء والأولياء، فبهذا التفكر يستطيع الإنسان اكتساب خلق القناعة، والسلامة بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا))**[(١)].

**إنَّ قلوب الناظرين إلى من هم دونهم في الدنيا لهي قلوب راضية بما عندها من فضل الله، شاكرة لأنعم الله، قلوب خالية من التعلق الممقوت بالدنيا، يعظمون ما عندهم من خير، وهم يعلمون أنَّ الفوارق بين البشر باقية ما بقيت الدنيا، وأنَّ بسط الرزق على العباد بلاء واختبار، وأنَّ الله سبحانه قد يعطي بعض الناس ليعذبهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾** (التوبة: ٥٥).

**قال الزمخشري –رحمه الله: ((الإعجاب بالشيء أن يسرّ به سرور راض به، والمعنى: فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا))**[(٢)].

**إنَّ من السعادة أن يعظِّم الإنسان ما عنده ولا يحتقر نعم الله عليه، فإن**

---

= فالحجاز فبلاد الشام فمصر، ثم عاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، من كتبه إحياء علوم الدين، والأعلام ومقاصد الفلاسفة وغيرها، توفي في سنة ٥٠٥هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٢٢/٧.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٢٤٣/٣، (بتصرف) ن/ دار المعرفة، بيروت.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٢٦٧/٢.

**كان في الناس من هو أكثر منه مالاً فقد يكون هو أكثر منه عافية، أو أعلى منه منزلة عند الله، أو قد يكون ذلك لخيرٍ له في قابل أيامه، ومستقبل أعوامه.**

**ومن منافع قصر النظر إلى الدون –في أمور الدنيا– رفع الحسد عن النفس، وبعدها ومجافاتها له، وكفى بالحسد حائلاً بين العبد والسعادة، قال عنه ابن رجب[1] –رحمه الله: ((الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أنَّ الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل))[2].**

**والحاسد لا يمكنه ولن يستطيع أن يسعد بشيء في دنياه؛ لأنَّ قلبه مشغول بما يفسده، تجده في كل حين يفوح فحيح[3] الأفعى إذا هاج بها السم، فأنى لقلبٍ كهذا أن يدرك شيئاً من السعادة ؟**

**القناعة خلق جميل تدرك من خلاله السعادة والرضا بعطية الله تعالى، وإنَّما يتضجر الناس بقِسْمَةِ الله إذا قلت فيهم القناعة، فعندها لا يرضيهم طعام ولا شراب ولا لباس ولا مركب ولا مسكن؛ إذ يريدون الزيادة من كل شيء، ولن**

(١) عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب بن الحسن بن مسعود البغدادي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ، أكثر الاشتغال بالعلم، وأجاد أكثر فنونه، من مؤلفاته: شرح الترمذي وشرح علل الترمذي، وطبقات الحنابلة، وغير ذلك مات سنة ٧٩٥هـ، انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٤٠/١، الدرر الكامنة لابن حجر ٤٢٨/٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الحنبلي ٣٣٩/٦، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٨١/٢، لابن مفلح، ن/ مكتبة الرشد، ط١ (١٩٩٠م)، ت/ عبد الرحمن العثيمين.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ٣٢٧/١، ن/ دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ).

(٣) فَحِيحُ الأَفْعَى، تَفُحُّ وتَفِحُّ وتَحُفُّ، وفَحَّتِ الأَفْعَى تَفِحُّ وتَفُحُّ فحّاً وفَحِيحاً، وهو صوتها من فيها شبيه بالنَّفْخِ في نَضْنَضَةٍ، انظر: لسان العرب لابن منظور ٥٤٠/٢ مادة: (فحح).

يستحسنوا شيئاً وإن كان حسناً؛ ومهما تكاثرت عندهم النعم اشرأبت أعناقهم للمزيد.

إنَّ من فقد القناعة لن يدرك السعادة؛ لأنَّ سعادته لا تتحقق إلا إذا أصبح أعلى الناس في كل شيء، وهذا هو المحال بعينه؛ لأنَّ الإنسان إن كَمُلت له أشياء قصُرَت عنه أشياء، وإن علا بأمور سَفُلَت به أمور أخرى، وهكذا الناس في الدنيا، ولن يبلغ أحد في دنياه كامل مناه، لذا كانت القناعة من أعظم كنوز المسلم التي يسعد بها نفسه ويرضي بها ربه.

إنَّ العبد المسلمَ موقنٌ بأنَّ الذي عند الناس من صنوف الخير إنَّما هي أُعطية الله لهم، ولن يجلب أحد الخير لنفسه بحوله وقوته؛ بل هو رزق الله تعالى ودنياه يؤتيها من يحب ومن لا يحب.

تُزيِّن القناعة النفس بالاطمئنان والسكون وعدم الضجر والتسخط، ومن ثمَّ فهي قادرة على صنع السعادة بإذن الله، والمتأمل في الأقوات يجد أنَّ الله هو موزِّع الأرزاق على العباد؛ فلا يُعجِّل بالرزق حرص حريص، ولا يؤخِّره حسدُ حاسدٍ، وإنَّ الرزق يطلب صاحبه كما يطلب ملك الموت من انقضى أجله.

المسلم قنوع بما قسم الله له، يصبح مطمئناً على رزقه فإنَّ رزقه عند عظيم كريم لا يضل ولا ينسى، لذلك فهو منشرح النفس سعيد، تشعُّ روحه بالنور والسرور، يبعث في المجتمع الرضا وصفاء الضمير، غير هلعٍ ولا جزعٍ، آمن مطمئن.

وعن أبي أمامة –رضي الله عنه– أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

**((نَفَثَ رُوحُ القُدُسِ فِي رُوْعِي[1] أَنَّ نَفْساً لَنْ تَخْرُجَ مِنْ الدُّنْيَا حَتى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب))[2]، وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّق عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ))[3].**

**وهذا الحديث يستشرف قمم السعادة؛ للنظر بعين اليقين إلى ما جعله الله في قلوب القنوعين، من خير ونعيم قد أثلج صدورهم، وجمع شملهم، وأتتهم الدنيا وهي طائعة منقادة.**

---

(١) يعني في نفسي وقلبي، انظر: غريب الحديث لابن سلام ٢٩٩/١، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط١(١٣٩٦هـ) ت/ د.محمد خان، وقال محمد أبو بكر الرازي: ((الرَّوْعُ بالفتح الفزع، والرَّوْعَةُ الفزعة، والرُّوعُ بالضم القلب والعقل، انظر: مختار الصحاح ٢٦٧/١، مادة (روع)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٥٩/٢، باب (الراء والواو والعين، روع).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥/٢، صحيح على شرط مسلم، كتاب: البيوع، رقم الحديث [٢١٣٦]، والمعجم الكبير للطبراني ١٦٦/٨، (واللفظ له) باب: صدي بن عجلان، رقم الحديث [٧٦٩٤]، وصححه الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ٨٦٥/٦، رقم الحديث [٢٨٦٦].

(٣) صحيح ابن حبان ٤٥٤/٢، كتاب: الرقائق باب: الفقر والزهد والقناعة، رقم الحديث [٦٨٠]، سنن الترمذي ٦٤٢/٤، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث [٢٤٦٥]، (واللفظ له)، سنن الدارمي ٨٦/١، باب: الاقتداء بالعلماء، رقم الحديث [٢٢٩]، وحسنه الشيخ الألباني انظر: السلسلة الصحيحة ٦٧٠/٢، رقم الحديث [٩٤٩].

**قال ابن القيم –رحمه الله: ((إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكَلَه إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره فكلّ من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته))[(١)].**

**ومما يفيض على نفس القنوع من سعادة حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[(٢)].**

**يشرح الإمام النووي –رحمه الله– فيقول: ((في هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا، ومعنى الكفاف الكفاية بلا زيادة ولا نقص وفيه فضيلة هذه الأوصاف))[(٣)].**

**وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ[(٤)]، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[(٥)].**

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ٨٤، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٣٩٣هـ).

(٢) صحيح مسلم ١٠٢/٣، كتاب: الزكاة، باب: في الكفاف والقناعة، رقم الحديث [٢٤٧٣].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي ١٤٥/٧، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٢هـ).

(٤) العَرَض هو متاع الدنيا وحطامها، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير. ٤٣٩/٣.

(٥) صحيح البخاري ٢٣٦٨/٥، كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، رقم الحديث [٦٠٨١]، صحيح مسلم ١٠٠/٣، (واللفظ له)، كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم الحديث [٢٤٦٧].

**ليس الغنى في كثرة الأموال والثروات، فكم من صاحب ثروة يلهث خلف الأموال من حيث أمكنه، كأنَّه معدم لا يملك شيئاً، ومتى فقدت النفس القناعة فإنَّ الفقر سيلجمها من كل جانب وإن ملكت الدنيا، فإنّ ابن آدم قد جُبِل على الحرص وحب المزيد، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه– عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: ((لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنَّ لَهُ وَادِيًا آخَرَ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ))(١).**

**قال ابن حجر –رحمه الله: ((ليس حقيقة الغنى كثرة المال، لأنَّ كثيراً ممن وسع الله له في المال لا يقنع بما أوتي؛ فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه فكأنَّه فقير، وإنَّما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به، وإذا استغنت النفس كفت عن المطامع، فعزت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغني))(٢).**

**إنَّ من السعادة رضا النفس عن ربها، ويقينها بأنَّه لا معطي لما منع عز وجل، ولا مانع لما أعطى سبحانه، وأنَّ ما عنده خيرٌ وأبقى، ولا يختار الرب لعبده إلا الأنسب له والأحسن، وأنَّه عز وجل يرحم عبده أكثر من رحمة أمه به(٣)، وكل ذلك لا يكون إلا بالقناعة؛ فمن آمن بذلك أسعد نفسه ولا شك.**

---

(١) صحيح مسلم ٣/١٠٠، كتاب: الزكاة، باب: لو أنَّ لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، رقم الحديث [٢٤٦٢].

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/٢٧٢، (بتصرف).

(٣) دلَّ على ذلك حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رضي الله عنه– أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ =

## المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله وشكره:

**تعريف الذكر لغة:**

**قال ابن منظور –رحمه الله: ((الذِّكْرُ الحِفْظُ لِلشَّيءِ تَذْكُرُه، وَهُوَ خِلاَفُ النِّسْيَان، والذِّكْرُ أَيْضاً جَرْيُ الشَّيءِ عَلى لِسَانِك))[(١)].**

**الذكر اصطلاحاً:**

**قال المناوي –رحمه الله: ((الذكر تارة يراد به هيئة للنفس بها يمكن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ لكن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر اعتباراً باستحضاره، ولذلك قيل: الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل منهما ضربان ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر))[(٢)].**

**ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي نجد أنَّ الذكر عبارة عن استحضار الشيء، سواء كان بالقلب أو اللسان، والذاكر لله أحياناً يذكره بلسانه**

---

= فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)) قُلْنَا لاَ وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٣٥/٥، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث [٥٦٥٣]، ومسلم في صحيحه ٩٧/٨، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنَّها سبقت غضبه، رقم الحديث [٧١٥٤].

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٠٨/٤، (مادة: ذكر).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٣٤٩/١.

وأحياناً بقلبه، وإنَّ أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله: عن الذكر ((إنَّ أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصاً ثم من بعده أمر بالشكر عموماً))(١).

إنَّ أحبَّ الذكر إلى الله أداء الواجبات قال تعالى في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّه))(٢).

الشاهد في الحديث: (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) وبهذا يعلم أنَّ أعظم الذكر أداء الفرائض والواجبات، ثم الذكر المطلق بنوافل العبادات من أقوالٍ وأفعال.

إنَّ المؤمن يذكر الله تعالى في جميع أحواله، سواء في سرائه أو ضرائه، وفي ليله ونهاره وسائر أوقاته، قال تعالى، ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران: ١٩١)، وقد أمر الله تعالى عباده بذكره وهم في أحرج

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٧٤ (بتصرف يسير)..

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٣٨٤، كتاب: الرقائق، باب: التواضع، رقم الحديث [٦١٣٧].

المواقف وأشدها على النفس وذلك لما يتراء الجمعان، أو يلتقي الصفان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الأنفال: ٤٥).

وأمرهم سبحانه بمواصلة ذكره بعد الانتهاء من العبادات مثل الصلاة ومناسك الحج، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ ﴾ (النساء: ١٠٣)، وبعد مناسك الحج يقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَاسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ (البقرة: ٢٠٠).

وهكذا لا يستغني العبد عن ذكر ربه في جميع أحواله، وفي الذكر يجد المخلص أنسه وسعادته.

ولما كان الذكر من أنفع أدواء القلوب وأجلبها للسعادة أوصى به رسولنا صلى الله عليه وسلم على الدوام، فعن عبد الله بن بسر –رضي الله عنه– أنَّ رجلاً قَالَ: ((يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرتْ عَليَّ فَأخْبِرْنِي بِشيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ، قَالَ: ((لا يَزَالُ لِسَانكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله))[1].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٧٢/١، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل، رقم الحديث [١٨٢٢]، صحيح ابن حبان ٩٦/٣، (واللفظ له)، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده قوي، باب: الأذكار، رقم الحديث [٨١٤]، سنن الترمذي ٤٥٨/٥، باب: فضل الذكر، رقم الحديث [٣٣٧٥]، سنن ابن ماجه ١٢٤٦/٢، باب: فضل الذكر، رقم الحديث [٣٧٩٢]، سنن البيهقي الكبرى ٣٧١/٣، =

**سعيد من جعل ذكر الله تعالى ديدنه في كل حين، فأعرض عن اللغو والثرثرة، وعن غيبة الناس، وأقبل على ذكرِ وتعظيم ربِّ الناس، ينتقل من ذكر إلى ذكر على اختلاف أحوال يومه، وما أكثر الأذكار في نهار الأيام ولياليها.**

**يسعد الله قلوب الذاكرين، ويشرح صدرهم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾** (الزمر: ٢٢).

**قال القرطبي –رحمه الله: ((وقلب قاس أي: صلب لا يرق ولا يلين، ومعنى: {فَوَيلٌ للقاسِيةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ} أنَّ قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره))[(١)].**

**ومن سعادة الذاكرين اطمئنان قلوبهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾** (الرعد: ٢٨)، **الاطمئنان يغمر قلوبهم ويسعد أرواحهم، ويقف طوداً شامخاً أمام جميع مرارات الدنيا ومحنها.**

**قومٌ اطمأنت قلوبُهم بذكر ربِّهم، وفي الذكر وَجَدُوا أُنسَهم وسَلْوَتَهم، وبه وصلوا إلى صفاء أنفسهم ونقاء سرائرهم، ذكروا الله فَذَكَرَهُمْ، وأَثْبَت الطمأنينةَ في قلوبهم على وجه التخصيص لهم، قوم تلك صفاتهم لا شك أنهم**

---

= باب: طوبى لمن طال عمره وحسن عمله، رقم الحديث [٦٣١٨]، وصحح الألباني رواية: (خير العمل أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله) انظر: السلسلة الصحيحة ٤٥١/٤، رقم الحديث [١٨٣٦].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٧/١٥-٢٤٨.

**أسعد الناس.**

**قال ابن عاشور –رحمه الله: ((القرآن سبب اطمئنان قلوب المؤمنين قال تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّه ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب) (الرعد : ٢٨)، وكان سبباً في قساوة قلوب الكافرين، وسبب ذلك اختلاف القابلية فإنَّ السبب الواحد تختلف آثاره وأفعاله باختلاف القابلية، وذِكر الله سبب في لين القلوب وإشراقها إذا كانت القلوب سليمة من مرض العناد والمكابرة))**[(١)].

**قال الشيخ السعدي –رحمه الله: (( ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله، فإنَّ لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر))**[(٢)].

**الذاكرون هم السابقون إلى السعادة، قال أبو هريرة –رضي الله عنه–: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: ((سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ))**[(٣)]**. سبقوا بالذكر فأدركوا الطمأنينة.**

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور٢٣/٣٨٢.

(٢) رسالة الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للسعدي ص ١٤، ن/ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) صحيح مسلم ٨/٦٣، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله، رقم الحديث [٦٩٨٤].

**قال النووي –رحمه الله– في شرح الحديث: ((وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، ويقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهى))**[1].

**ومن سعادة الذاكرين وَجَل قلوبهم وزيادة الإيمان في نفوسهم: قال تعالى:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢).

**قال ابن كثير –رحمه الله: ((هذه صفة المؤمن الحق، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره))**[2].

**وقال الفخر الرازي –رحمه الله: ((فإن قيل: إنّه تعالى قال هنا (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) وقال في آية أخرى (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ)** (الرعد: ٢٨) **فكيف الجمع بينهما وأيضاً قال في آية أخرى (ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)** (الزمر: ٢٣) **قلنا: الاطمئنان إنَّما يكون عن ثلج اليقين وشرح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجل إنَّما يكون من خوف العقوبة ولا منافاة بين هاتين الحالتين بل نقول هذان الوصفان اجتمعا في آية واحدة، وهي قوله تعالى (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)** (الزمر ٢٣) **والمعنى: تقشعر الجلود من خوف عذاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله))**[3].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٤/١٧ (بتصرف).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١/٤.

(٣) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٩٦/١٥.

لقد بيَّن الفخر الرازي –رحمه الله– معنى الآيتين من خلال مقام الخوف والرجاء، وأقول مضيفاً: إنَّ خشية الله واقشعرار الجلد منها من تمام السعادة وراحة النفس، فإنَّ أهل الخشية هم المطمئنون بربهم، الآمنون بدينهم، لذلك فرَّ الخائفون إلى الله تعالى، ولم يفروا منه؛ لأنَّ خوفهم من ربهم هو الذي يكسبهم الأمن والسعادة قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الذاريات: ٥٠)، والخائفون من الأشياء يفرون مبتعدين عنها، ولكنَّ الخائفين من الله يفرون إليه لِيأمنوا ولِيطمئنوا ويسعدوا، فلا منافاة بين الآيتين.

وتزداد سعادة الذاكرين بذكر الله لهم، فقد فازوا بهذه المكانة الخاصة قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (البقرة: ١٥٢)، قال الطبري –رحمه الله: في تفسيرها: ((يعني تعالى ذكره بذلك: (فاذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكرْكم برحمتي إياكم ومغفرَتي لكم))[(١)].

وقال البغوي: –رحمه الله: ((اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه "فلولا أنَّه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون))[(٢)].

وهل من نعمةٍ أعظم من أن يذكر اللهُ عبدَه؟ يا من يفرح بذكر البشر – وهم لا يملكون لك شيئاً! –وربُّ العالمين يعدك بالذكر إن ذكرته –وهو الذي يملك لك كلّ شيء– فعش دائماً في ذكرِ من أوجدك من العدم وأسبغ عليك

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢١١/٣.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ١٦٨/١.

**سائر النعم، فعن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي ملإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))**(١).

**ولا ريب أَنَّ الله تعالى إذا ذكرهم فازوا، فاستراحت قلوبُهم؛ وانشرحت صدورهم، وسعِدت أنفسهم لِمَا نالت بِذِكْرِهِ من الحياة.**

**ومن أنفع الأذكار الجالبة للسعادة أذكار الصباح والمساء؛ فإنَّها أنفع ما يستعين به المسلم على صفاء حياته، في صباحه ومسائه؛ فإنَّ ذكر الله يجلب للمسلم الانشراح في صدره، والطمأنينة في قلبه، ومنها أذكار الحالات العارضة مثل أذكار النوم والاستيقاظ، والخروج من المنزل والدخول، وركوب الدابة، والأكل والشرب، والخلاء، وعند سكنى الدار الجديدة، ودعاء دخول البلدة، والتعوذ عند الغضب، ونحو ذلك مما يعرض للمرء في حياته اليومية بحسب المكان والأحوال، فبكلماتٍ معدوداتٍ تستطيع أيها المسلم دفع الشرور والبلاء بحول ربِّ الأرض والسماء؛ كما أخبر بذلك سيد الأنبياء.**

**إنَّ الذكرَ أيسرُ العبادات وأقلها مشقة، وهو رأس الشكر فما شكر الله من لم يذكره، والعاقل الفطن يحافظ على الأذكار، ويحرص عليها أكثر من**

(١) صحيح البخاري ٦/٢٦٩٤، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ( ويحذركم الله نفسه) رقم الحديث [٦٩٧٠]، صحيح مسلم ٨/٦٢، (واللفظ له)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم الحديث [٦٩٨١].

**محافظته على طعامه وشرابه؛ فإنها حصن المسلم الحصين وملازه الأمين، وبها يرتقي المخلصون إلى قمم السعادة، فإنها جلابة الأنس والاطمئنان والسكون.**

**ثمَّ بعد الحديث عن الذكر أنتقل إلى الحديث عن مقام الشكر، وقُدِم الذكر لأنَّه رأس الشكر.**

**تعريف الشكر لغة:**

**قيل: فرسٌ شَكُور، إذا كَفَاهُ لِسِمَنِه العلفُ القليل، وقيل: أصله الامتلاء والغُزْر في الشيء، يقال: حَلُوبة شَكِرَةٌ إذا أصابت حَظّاً من مرعىً فَغزُرت، ويقال: أشكر القومُ، وإنهم ليحتلبون شَكِرَةً، وقد شَكِرت الحَلُوبة، ومن هذا الباب: شَكِرَت الشّجرةُ، إذا كَثُر فيئُها))[(١)].**

**وقال ابن منظور –رحمه الله: ((قيل: الشُّكْرُ الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، وقد شَكَرهُ شُكْراً وشُكْرَاناً أيضاً، ويقال شَكَرَهُ وَشَكَرَ لَهُ))[(٢)].**

**الشكر اصطلاحاً:**

**((الوصف بالجميل على جهة التعظيم على النعمة من اللسان والجنان والأركان، وقيل: تصور النعمة وإظهارها، وقيل: الشكر شكران شكر باللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر بجميع الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، وقيل: عبارة عن معروف يقابل النعمة سواء كان باللسان أو باليد**

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٢٠٨، باب: (الشين والكاف والراء، شكر).

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤/٤٢٤، مادة (شكر)، وانظر: مختار الصحاح للرازي١/٣٥٤، (شكر).

أو بالقلب))[1].

ويظهر التلاقي بين المعنى اللغوي والاصطلاحي إذ يشتركان في الامتلاء، فيقال في الشكر لغة الامتلاء –عين شكري أي: ممتلئة– وفي الاصطلاح نجد أنَّ الذي يشكر إنَّما يكثر من ذكر المنعم عليه ويظهر محاسنه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

قال الشيخ السعدي –رحمه الله: ((أمرنا الله أن نشكر له؛ أي: اشكروني على ما أنعمتُ عليكم بهذه النعم، ودفعتُ عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقراراً وبالنعم اعترافاً، وباللسان ذكراً وثناءً، وبالجوارح طاعةً لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادةٌ في النعم المفقودة، قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ} وينبغي لمن وفِّقوا لعلمٍ أو عملٍ، أن يشكروا الله على ذلك))[2].

ينبغي أن يكون شكر العبد لربه سبحانه وتعالى على قدر حب النعم والمنافع والخيرات؛ فإنَّ النعم تقيد بحبال الشكر، فمن كان محباً لها فليكثر من شكرها.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

(١) الأقوال في كتابي: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٤٣٥/١، والتعريفات للجرجاني ١٦٨/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٧٤/١ (بتصرف يسير).

﴿ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٤).

**قال ابن كثير –رحمه الله: ((أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طَيبات ما رزقهم، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أنَّ الأكل من الحرام يمنع قبولَ الدعاء والعبادة))[(١)].**

**كانت ألسنة الأنبياء والمرسلين تلهج[(٢)] بشكر الله في كل حين، ومما قصه القرآن في ذلك قصة سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فإنَّه لما أتاه قصر بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه شكر الله ونسب الفضل إليه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ ﴾(النمل: ٤٠).**

**قال أبو حيان[(٣)] –رحمه الله: ((فلمّا رأى سليمان العرش، محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف، تلقى تلك النعمة والفضل بالشكر، إذ ذاك نعمة متجددة، والشكر قيد للنعم))[(٤)].**

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٨٠.

(٢) اللَّهَجُ بالشيء الوَلُوع به، وقد لَهِجَ به إذا أُغْرِيَ بِالشَّيء، انظر: مختار الصحاح للرازي ١/٦١٢، مادة (لهج).

(٣) محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي ولد بمطخشارش، قرب غرناطة سنة ٦٥٤هـ، شيخ النحاة في زمانه، جال في بلاد المغرب ثم قدم مصر قبل سنة ٦٨٠هـ، كان إماماً منتفعاً به، اتفق أهل عصره على إمامته، صنف التصانيف السائرة، وله البحر المحيط في التفسير، وإتحاف الأريب، مات سنة ٧٤٥هـ بالقاهرة، انظر: طبقات المفسرين للأدنروي ١/٢٧٨-٢٧٩.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧/٧٣-٧٤ (بتصرف) ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ)، ت/عادل أحمد.

**إنَّ نفس المؤمن وفيّة تعرف المعروف وتقوم بشكره وذكره، ولن يجد العبد من يستحق الشكر الخالص والثناء الحسن غير الله، ولن يستطيع أحد أن يثني على الله حق الثناء، ومن رحمته أنّه أثنى على نفسه ليرفع عن عباده ثقل المنّة.**

**يجب على العبد أن يكون شكَّاراً[1] لنعم الله المتعاقبة عليه، وقد كان رسولنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم عبداً شكوراً؛ يقوم الليل حتى تتورم قدماه من طول قيامه، وقد بيَّن أنَّ ذلك من شكره لربه، كما جاء عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا))[2].**

**وهكذا يكون الشكر بالأعمال الصالحة، لا بمجرد الأقوال، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** (سبأ: ١٣).

---

(١) كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعلني لك شكَّاراً، لك ذكَّاراً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً، لك أوَّاها منيباً، ربِّ اقبل توبتي، واغسل حوبتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم ٧٠١/١، (واللفظ له)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل، رقم الحديث [١٩١٠]، صحيح ابن حبان ٢٩٩/٣، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، باب: الأدعية، رقم الحديث [٩٤٨]، سنن الترمذي ٥٥٤/٥، باب: في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث [٣٥٥١] وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٨٣٠/٤، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك} ورقم الحديث: [٤٥٥٦].

**يسعد من يشكر الله ويستجلب بشكره المزيد من النعم والخيرات، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾** (إبراهيم: ٧).

**قال الحسن البصري[١] –رحمه الله: ((إذا أنعم الله على قومٍ سألهم الشكر، فإذا شكروه كان قادراً على أن يزيدهم، وإذا كفروه كان قادراً على أن يبعث نعمته عليهم عذاباً، وقد ذمَّ الله سبحانه الكنود؛ وهو الذي لا يشكر نعمه،﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾** (العاديات: ٦)**، يعد المصائب وينسى النعم، وقد أخبر النبيُّ أنَّ النساء أكثر أهل النار بهذا السبب؛ قال: لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثمَّ رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط[٢] فإذا كان**

(١) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، كانت أم الحسن مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وكان أبوه من الموالي، سكن المدينة وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر فولد له بها الحسن، لسنتين بقيتا من خلافة عمر، نشأ الحسن بوادي القرى، سمع وروى عن عثمان بن عفان، وشهد يوم الدار، قيل: كان الحسن وابن سيرين مولِيين لعبد الله بن رواحة وقدما البصرة مع أنس، كان الحسن سيد أهل زمانه علماً وعملاً، مات سنة ١١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤ والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لحمد الذهبي الدمشقي٣٢٢/١ ، ن/ دار القبلة الثقافية الإسلامية بجدة، ط١، (١٤١٢هـ)ت/ محمد عوامة.

(٢) يشير إلى الحديث: (إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِ الْعَشِيرِ وَبِكُفْرِ الإِحْسَانِ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) أخرجه/ =

**هذا بترك شكر نعمة الزوج –وهي في الحقيقة من الله– فكيف بمن ترك شكر نعمة الله))**[1].

**من سعاد من يشكر نعم الله عليه المحافظة على تلك النعم من الزوال، والسلامة من النغم، وفي الحديث الآتي آيات لمن تأمَّل:**

**عن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قال: سَمِعَتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّى الَّذِي قَدْ قَذِرَنِيَ النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنَاً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، قالَ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِى النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا –قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ– قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ**

---

= البخاري ١/١٩، باب: كفران العشير وكفر بعد كفر، رقم الحديث [٢٩].

(١) انظر قول الحسن في: عدة الصابرين لابن القيم ١/٩٩ ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ زكريا يوسف.

مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلاَ بَلاَغَ لِي الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَو اللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ))[(١)].

وهكذا بشكر الله تعالى والاعتراف بفضله تدوم النعم وتزيد، وكذلك تذهب إذا تنكر العبد لمنن الله عليه وكرمه ونعمه.

ويسعد من يشكر الله بانكسار نفسه لله وحملها على عدم الكبر، فإنَّ الشكر يدفع عن النفس وساوس الإعجاب ويُهَذِبها بخلق التواضع، والاعتراف بفضل الله سيد النعم، والواقع يشهد بسعادة أنفس المتواضعين وسمو حياتهم،

(١) صحيح البخاري ١٢٧٦/٣، (واللفظ له)، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث [٣٢٧٧]، صحيح مسلم ٢١٣/٨، كتاب: الزهد، باب: الزهد والرقائق، رقم الحديث [٧٦٢٠].

**وما فتئ التاريخ يحكي خسارة دنيا المتكبرين المغرورين الجاحدين شكر نعم الله عليهم، والقرآن قد بيَّن سوء عاقبتهم، وقبح سريرتهم.**

## المطلب السابع: شغل الفراغ وحسن إدارة الوقت:

**معنى الفراغ لغة:**

**خِلافُ الشُّغلِ، يَدلُّ عَلى الخُلوِّ والسِّعةِ، يُقَالُ: فَرَغَ فَرَاغاً وفُرُوغاً، وَفَرِغَ أيضاً، وَمِنْ البَابِ الفَرْغ: مَفْرَغ الدَّلْو الذي ينصبُّ مِنْهُ المَاءُ، وأفرَغْتُ الماءَ: صَبَبْتُهُ، وَذَهَبَ دَمُهُ فَرْغاً، أَي بَاطِلاً لم يُطلَبْ بِهِ، وَطَرِيقٌ فَرِيغٌ: وَاسِعٌ**[1].

**الفراغ اصطلاحاً:**

**قال المناوي –رحمه الله: ((خلو الشيء عما شأنه أن يعيه حساً أو معنى))**[2].

**من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يتبين أنَّ الفراغ هو الخلو، سواء أكان لشيء محسوس، أم كان لشيء معنوي، والفراغ الذي يعنى به هذا البحث الفراغ المعنوي، أي الخلو من عملٍ معيَّن، وعدم شغل الأوقات بما يعود بالنفع.**

**قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾** (الشرح: ٧ – ٨)، **قال الطبري –رحمه الله–: ((أمر الله نبيه بأن ينصب في عبادته والاشتغال فيما يقربه إليه؛ فإذا فرغ من عبادة اجتهد في أخرى ولم يخصص حالاً بعينه دون حال))**[3].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٩٣ باب: (الفاء والراء والغين، فرغ).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١/٣٢٧.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢٤/٤٩٧ (بتصرف).

**وكذلك يقول البيضاوي[١] –رحمه الله: ((إذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة أو {فإذا فرغت} من الصلاة فانصب بالدعاء))[٢].**

**ليس في حياة المسلم فراغ ضائع ولا ملل قاتل، بل يتنقل المسلم في طاعة الله من شغلٍ إلى شغل، فهو إمَّا أن يكون في عبادة خاصة به، أو نفعٍ وخيرٍ يسديه لأهله، أو لجيرانه، أو لعموم الناس، وهكذا يتقلب في المنافع، إمّا في نفع نفسه، أو نفع أحبابه وإخوانه، فلا يبخل بماله، ولا بوقته، ولا بنفسه، ولا بفكره ورأيه، وما أكثر ساحات الخير وأبواب الطاعات المشرعة أمام المخلصين الطامعين في رحمة ربِّ العالمين، السعداء المسعدين.**

**إنَّ الأوقات في شرعنا عظيمة مقدرة، وأمرنا الله تعالى بالاهتمام بها ومراعاتها، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: ١٠٣)، قال القرطبي –رحمه الله: ((مفروضة لوقت بعينه؛ يقال: وقَّتَه فهو موقوت))[٣].**

**فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين، وأمرهم أن يؤدوها في أوقات**

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي البيضاوي الشافعي صاحب التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماماً مبرزاً صالحاً متعبداً ولي قضاء القضاة بشيراز، كانت وفاته في بلدة تبريز سنة ٦٨٥هـ، انظر طبقات المفسرين للأدنروي ٢٥٤/١، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الحنبلي ١١٥/٤.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٥٠٥/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٤/٥.

**محددة، لا تصح إلا فيها، وكل هذا مما يؤكد على أهمية الأوقات، ووجوب إحسان إدارتها، وضرورة المحافظة عليها في هذا الدين العظيم.**

**وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس الصحة والفراغ))**(١).

**قال ابن حجر –رحمه الله: ((معنى الغبن: النقص، وقيل الغبن وهو ضعف الرأي، وقد يكون الإنسانُ صحيحاً ولا يكون متفرغاً، أو قد يكون متفرغاً ولكنه مريضٌ عاجزٌ، فإذا اجتمع عند المرء الصحة والفراغ ثمَّ غلب عليه الكسل عن الطاعة ومنافع الناس فذلكم المغبون، وتمام ذلك أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون؛ لأنَّ الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم))**(٢).

**وقال الزمخشري –رحمه الله–: ((قعود الرجل من غير شغلٍ أو اشتغاله بما لا يعينه في دينه أو دنياه؛ من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة، ولقد قال عمر –رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سبهللاً؛ لا في عملِ دنيا ولا في عمل آخرة))**(٣).

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٣٥٧، كتاب: الرقائق، باب: لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم الحديث [٦٠٤٩].

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١/٢٣٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٤/٧٧٧، وبحثت عن قول عمر –رضي الله عنه–: فوجدته قد ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث =

**إنَّ أسوأ حالات القلب يوم يفرغ صاحبه من العمل والتفكر في إرضاء الله، يوم يجد القلب فراغاً فليتهيأ حينها للخواطر والوساوس والشكوك؛ التي تولِّد الهموم والغموم، وجلب المصائب والشرور، فالنفس إن لم تُشغل بطاعة الله شغلت بمعصيته جلَّ وعلا، لأنَّ الفراغ داءٌ يجلب للنفس الملل والسآمة، ويوحش القلب بأحداث الماضي، ليعكر صفاء الحاضر، ويذهب أمل المستقبل، ويدفع إلى المعصية والأرق والمهانة.**

**إنَّ المتأمل في الوقت يجد أنَّ له ثلاث خصائص؛ الأولى: سريع الانقضاء، الثانية: الذي مضى منه لا يعود، والثالثة: أنه أنفس وأغلى ما يملكه الإنسان فإنَّه عمره الحقيقي.**

**إنَّ أساس قيمة الوقت تعود إلى أنّه وعاء لكل عمل، وهذا الوعاء يختلف الناس في تعبئته؛ فمن الناس من يحاول ملء وعائه بكثيرٍ من الأشياء، فيضيق عليه الوقت فيزحم نفسه بلا ثمار –فيكون كالمنبت؛ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى– ومنهم من يشتكي من فراغِ وعائه ويبحث عن الأشياء التي تشغله من صالح أو طالح "ولكلٍ وجهةٌ هو موليها".**

**فيجب عند الفراغ –إنْ وجد– القيام بأعمالٍ مثمرةٍ، بدلاً من الاسترخاء القاتل والخيال الخاسر، لأنَّ الفراغ وأدٌ خفيٌّ، وانتحارٌ بطئ، ولصٌ عبقريٌ**

---

= والأثر لابن الأثير ٢/٨٥٠، وذكره الطبراني في الكبير، انظر معجم الطبراني الكبير٩/١٠٢، رقم الحديث [٨٥٣٨]، والبرهان فوري في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣/٨٤٥، بالرقم [٨٨٤٤]، ن/ مؤسسة الرسالة ط٥، (١٤٠١هـ)، ت/ بكري حياتي، ولكن الأخيرين نسباه إلى ابن مسعود رضي الله عنه.

**محترفٌ، والعقل فريسته؛ فالواجب شغله بصلاةٍ أو قراءةٍ أو كتابةٍ، أو تسبيحٍ وتحميد، أو زيارةٍ ولو إلى المقابر(١)، أو نفعٍ للجيران والإخوان حتى يُقضي على الفارغ بالعمل، والإحباط بالأمل.**

**قال أبو بكر لعمر بن الخطاب –رضي الله عنهما: حين حضرته الوفاة ((إنِّي موصيك بوصيةٍ إن حفظتها: إنَّ لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وحقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنَّها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ...))(٢).**

**يهتم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشغل الوقت بما يناسبه من عمل، وما تلك الوصية والاهتمام بها، وذكرها عند احتضاره وقرب أجله إلا لعلمه –رضي الله عنه– بالقيمة الحقيقية للوقت في حياة المسلم، وإنَّ وصيته ليست في المحافظة على الوقت فحسب؛ بل هي وصية بالانتباه لحسن إدارة الوقت.**

**فينبغي أن تُشغل الأوقات بما يناسبها من أعمال، وأن تقدم الواجبات، ثم**

(١) زيارة المقابر فاضلة وليست مفضولة، وأشرت إليها هنا تنبيهاً لأهميتها لأنَّ أكثر الناس لا يقصدونها بالزيارة إلا مع الدفن.

(٢) انظر الأثر في: مصنف ابن أبي شيبة لأبي شيبة ٥٧٢/١٤، باب: ما جاء في خلافة عمر رقم الحديث [٣٨٢١١]، ن/ الدار السلفية، الهند، ت/ محمد عوامة، والزهد لابن المبارك ٣١٩/١، باب: ذكر رحمة الله رقم الحديث [٩١٤]، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ حبيب الأعظمي، ووصايا العلماء عند حضور الموت للربعي ٣٣/١، باب: وصية أبي بكر الصديق، ن/ دار ابن كثير، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٦هـ، ت/ عبد القادر الأرنؤوط، وكتاب الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ١٠١/١، ن/ دار ابن حزم، بيروت، سنة ١٤١٦هـ ت/ بسام عبد الوهاب.

**المستحبات، ولا يترك لشهوة النفس شغل فراغها بما تريد؛ فإنها أمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وهكذا تدفع وساوس وملهيات القلب عن اشتغاله بالقلق الناشئ عن الفراغ.**

**إنَّ المسلم الناجح يحسن إدارة وقته فيقسِّمه بين منافعه، ولا يترك عملاً نافعاً من أجل عملٍ أقل منه نفعاً، ويوازن بين عباداته اليومية ومتطلباته الشخصية، فيرعى مصالحه الخاصة ومصالح أسرته، ويقوم بحق أرحامه وجيرانه، ولا يهمل عمله ومصدر رزقه، بل يعطي كل ذي حقٍ حقه في ثقةٍ وإتقان، وهكذا يحسن إدارة وقته في نهاره وليله.**

**ولِيُعلم أنَّ في الحياة المهم والأهم، فلا يُقدم المهم على الأهم منه، لاسيَّما في أمر العبادات، فيجب أن تؤدى كل عبادة في وقتها الذي أمر به الشرع؛ فعند سماع الأذان تكون أفضل عبادة هي الاستعداد للصلاة، وفي رمضان أفضل ما يتقرب به العبد الصيام، ويوم النحر يقع الدم عند الله بمكان قبل أن يقع على الأرض[1]، وهكذا تؤدى كل عبادة في وقتها المناسب، ويشغل**

(١) ورد الحديث عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِقُرُونِهَا، وَأَظْلَافِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ، لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا)) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٤٦/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب: الأضاحي رقم الحديث [٧٥٢٣]، والترمذي في سننه ١٣٥/٣، وقال الترمذي: حسن غريب، باب: ما جاء في فضل الأضحية رقم الحديث [١٤٩٣]، وابن ماجه في سننه ١٠٤٥/٢، باب: ثواب الأضحية رقم الحديث [٣١٢٦]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١٤/٢، رقم الحديث [٥٢٦]، ن/ دار المعارف، الرياض، ط١، =

**كل فراغ بما يناسب.**

**وإنَّ النجاح في شغل الفراغ بما ينفع، وحسن إدارة الوقت، والسلامة من تسلط الفراغ وحبال الشيطان، لهو سير في خطىً ثابتة نحو السعادة في سائر الأيام، فإنّ الوقت أغلى من الذهب؛ لأنَّه عمر الإنسان الذي به يسعد، فلا يمكن لعاقل أن يستغني عن عمره، وأمَّا الذهب فيمكن الاستغناء عنه.**

**يسعد من يحافظ على وقته، ويسلم من الندم على إضاعة الأوقات، قال تعالى عن أناس أضاعوا أوقاتهم سدى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾**(المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠)**، قال الشيخ الجزائري –حفظه الله: ((أي: إذا رأى المشرك ملك الموت وأعوانه وقد حضروا لقبض روحه {قال رب ارجعون} أي: أخروا موتي كي أعمل صالحاً فيما تركت العمل فيه بالصلاح، وفيما ضيعت من واجبات))[(١)]، ولا ينفع عندئذ الطلب، فقد ولَّت أيام العمل، وانتهت أوقات الجد التي ضاعت سدى، وما بقي إلا الحساب، وكذلك يذم الله تعالى من أضاع وقته مع السفهاء والبطالين فيقول سبحانه عنهم: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾** (المدثر: ٤٥)**، قال السيوطي –رحمه الله: ((كلّما غوى غاوٍ غوينا معه))[(٢)].**

---

= (١٤١٢هـ)، وحكم عليه الألباني بالصحة في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح للتبريزي ٤٦٢/١، الفصل الثاني، رقم الحديث [١٤٧٠]، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، (١٩٨٥م).

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري ٥٣٨/٣.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٣٣٧/٨.

أضاعوا أوقاتهم في غير منفعة، ونعقوا مع الناعقين، وهم في غمرة ساهون، فندموا على تفريطهم في أعمارهم، وأنفس أوقات حياتهم، وقد بيَّن القرآن ذلك الندم في آياتٍ كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ (الزمر: ٥٦)، قال ابن القيم –رحمه الله–: ((فلو تيقظ حق التيقظ لتقطعت نفسه في الدنيا حسرات على ما فاته من حظه العاجل والآجل من الله، وإنَّما يظهر له هذا حقيقة الظهور عند مفارقة هذا العالم والإشراف والإطلاع على عالم البقاء))[(١)].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة: ١٦٧) يعذبهم الله تعالى بجهنم، وبما أضاعوا من أوقاتٍ في أعمالٍ سيِّئة، قال الطبري –رحمه الله: ((كما أراهم العذابَ الذي ذكره في قوله:"ورأوا العذاب"، الذي كانوا يكذبون به في الدنيا، فكذلك يُريهم أيضًا أعمالهم الخبيثة التي استحقوا بها العقوبة من الله "حسرات عليهم" يعني: نَدامات))[(٢)].

يسلم السعداء من هذه الندامات، ويفرحون بما عملوه من الصالحات، كما بيَّنت الآيات، وكذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من إضاعة الأوقات وإهمال استقلالها فيما ينفع العبد يوم القيامة، ومن ذلك ما رواه أبُو هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنِ

(١) التفسير القيم لابن القيم ٢/٢٦٤.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/٢٩٥.

**اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً[1] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].**

**يبيِّن الحديث أنَّ الأوقات والهيئات التي يكون عليها المسلم يجب أن يتخللها ذكر الله تعالى، ومن لم يفعل فسيندم يوم القيامة.**

**ومدح الله تعالى الذين استفادوا من أوقاتهم وفازوا برضوانه ورحمته، وأدركوا منازل السعادة، قال تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾** (الأعراف: ٤٣)**، قال ابن الجوزي –رحمه الله–: ((دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال، فلما كان نيلها لا عن عوضٍ سُميت ميراثاً، والميراث ما أخذته عن غير عوض))[3] وقال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾** (الطور: ١٩)**، تكون أعمال المسلم سبباً في رحمة الله تعالى[4] التي بها يدخل**

---

(١) التِّرة هي التَّبِعة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣١٩/٥، وقال المناوي: هي الحسرة، فيض القدير ٩١/٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٧٤/١، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه كتاب: الدعاء والتكبير، رقم الحديث [١٨٢٦]، وسنن الترمذي ٤٦١/٥، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، باب: في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، رقم الحديث [٣٣٨٠]، سنن أبي داود ٤٧٤/٤، باب: ما يقال عند النوم، رقم الحديث [٥٠٦١]، وحسَّنه الألباني في السلسة الصحيحة ١١٧/١، رقم الحديث [٧٨].

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٠٢/٣، (بتصرف)، وانظر: فيض القدير للمناوي ٧٠٥/١.

(٤) دلَّ على ذلك حديث أَبُو هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ)) قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ =

**عباد الله الجنة.**

**إنَّ من أشغل فراغه بتوظيفه واستثماره بما يعود عليه بالخير في دينه ودنياه، وأحسن إدارة يومه وليله فأدى عبادة ربه، وقام بواجب نفسه وأهله، ووفى كل ذي حق حقه، وأكثر من الطاعات ونوافل العبادات، وطوَّر من نفسه فجلب لها المزيد من أنواع الخيرات، وصنوف الخبرات والقدرات في الأعمال المباحة والمستحبة؛ فقد فاز بالرضا والصفاء والسعادة والهناء، وإنَّ البؤس كل البؤس في ضياع الأوقات، واتباع الملهيات والصوارف المهلكات، والقبائح من الأفعال والأقوال، وإضاعة الأموال، وكل ذلك مما يجلب على النفس الخيبة والوبال، والخسارة والبوار، ويحول بينها وبين السعادة في الحاضر والمآل.**

## المطلب الثامن: الإحسان إلى الناس واحتساب الأجر

**تعريف الإحسان لغة:**

**من الحُسْنُ ضِدُّ القَبُحُ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ وامرَأة حَسْنَاءُ وحُسّانَةٌ، والمحَاسِنُ مِنْ الإنْسَان وَغَيْرهُ ضدُّ المَسَاوِي، وقد حَسُنَ الشَّيء بالضم حُسْناً، وحَسَّنَ الشَّيء تَحْسِيناً زَيَّنَهُ[1].**

**الإحسان اصطلاحاً:**

---

= يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)) أخرجه مسلم في صحيحه ١٤٠/٨، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله، رقم الحديث [٧٢٩٤].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥٧/٢-٥٨ باب: (الحاء والسين والنون، حسن)، ومختار الصحاح ١٦٧/١، باب: (حسن).

**قال المناوي –رحمه الله: ((فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان، أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسانٌ في فعله، وذلك إذا علم علماً محموداً، أو عمل عملاً حسناً))[1].**

**الإحسان جميل إن كان فعلاً أو كان قولاً، وهو في جميع صوره وأشكاله يتناسب مع راحة النفس، وطلاقة الوجه، وسلامة الصدر، والقبح قبيح كاسمه، وهو يتناسب مع التعاسة ونفور النفس.**

**الفرق بين الإحسان والإنعام:**

**لقد فرَّق العلماء بين الإحسان والإنعام، ومن ذلك قول ابن منظور – رحمه الله: ((والفرق بين الإحسان والإنعام أَنَّ الإحسانَ يكون لنفسِ الإنسان ولغيره، تقول أَحْسَنْتُ إلى نفسي، والإنعامُ لا يكون إلا للغير))[2].**

**وقيل: ((يجوز إحسان الإنسان إلى نفسه تقول لمن يتعلم العلم أنه يحسن إلى نفسه ولا تقول منعم على نفسه، والإنعام لا يكون إلا من المنعم على غيره، ويكون من الاحسان ما هو ضرر مثل تعذيب الله تعالى أهل النار))[3].**

**الإحسان والإخلاص:**

**إنَّ الإحسان النافع لفاعله المسعد له هو ما كان لوجه الله تعالى، ولم**

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي١/٤٠-٤١ (بتصرف).

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٣/١١٤، مادة: (حسن)، وانظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١/٥، ن/ دار المعرفة، بيروت، ت/ محمد سيد كيلاني.

(٣) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١/٨١، (بتصرف)

يشبه رياء ولا سمعة، وذلك الإخلاص في الإحسان هو مقبض سعادة المحسنين؛ وقد مدحهم الله بقوله سبحانه عنهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان: ٩)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (الليل: ١٩ – ٢٠).

أولئك المخلصون الذين ينظرون إلى رضوان الله وجنته، ولا يرقبون من أحدٍ شيئاً، بل ادخروا أجورهم ليوم الدين، ولا يتناسب الإحسان مع مَنٍّ المحسن وأذاه، فالمنان يضيع عمله سدى، ويحبط أجره بالأذى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

قال القرطبي–رحمه الله: (( قال جمهور العلماء في هذه الآية: إنَّ الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنَّه يمنّ أو يؤذي بها فإنها لا تقبل، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمارة فهو لا يكتبها، وهذا حسن، والعرب تقول لما يمنُّ به: يد سوداء، ولما يعطى عن غير مسألة: يد بيضاء، ولما يعطى عن مسألة: يد خضراء، وقال الشاعر:

أفسدت بالمنّ ما أسديت من حسن ... ليس الكريم إذا أسدى بمنان

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١١/٣، ن/ دار عالم الكتب، الرياض، ت/ هشام سمير، ولم ينسب بيت الشعر لأحد.

**وقيل: أصدق بيتٍ قالته العرب وأحكمه قول الحطيئة[1]:**

**مـن يفعـلِ الخيـرَ لا يعـدم جوازِيَـهُ  لا يـذهب العـرفُ بـين الله والنـاسِ[2]**

**وقيل: ما ضاع عرفٌ وإن أوليته حجراً، وقيل: خيرٌ من الخير فاعله، وخيرٌ من الذهب معطيه.**

**وقال عبيد بن الأبرص[3]:**

**الخيـرُ يبقـى وإن طـالَ الزمـانُ بـه  والشـرُّ أخبـثُ مـا أوعيـتَ مـن زاد[4]**

**ويدرك المحسنون أنَّ أكثر الخلق لا يشكرون بل قد يقابلون الإحسان بالإساءة والنكران، ولم يسلم من ذلك الجحود ربّ العالمين، الذي خلق العباد ليعبدوه، ورزقهم ليشكروه، ويذكروه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا**

(١) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان كثير الهجاء، ولم يكد يسلم من لسان أحد، هجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان ابن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعاً، ومما كتب عنه (ديوان الحطيئة) مات سنة ٤٥هـ انظر: الأعلام للزركلي ١١٨/٢.

(٢) انظر ديوان الحطيئة ١٢٠/١، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٥.

(٣) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي أبو زياد المضري –من قبيلة مضر– شاعر جاهلي من دهاة الجاهلية وحكمائها، وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية بعد المعلقات، قتله ملك الحيرة أبو قابوس النعمان بن المنذر، قيل: سنة ٢٥ قبل الهجرة، انظر: الأعلام للزركلي ١٨٨/٤.

(٤) انظر: ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ١١٨/١، ن/ دار الجيل، بيروت.

﴿ لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فعبد أكثر الناس غيره، وشكر معظم الخلق سواه؛ لأنَّ طبيعة الإنسان الجحود والنكران.

قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ: ١٣)، فلا عجب إنْ وجد من يكفر الجميل، وينسى المعروف.

لقد ورد الأمر بالإحسان في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥ ).

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: ((وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنَّه لم يقيّده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال، والإحسان بالجاه، بالشفاعات، بالأمر بالمعروف، وتعليم العلم النافع، وقضاء حوائج الناس، والإحسان في عبادة الله تعالى، فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}))[1].

ذلكم هو الإحسان الذي أحبه الله ورغَّب فيه، وحث عليه، على مختلف أشكاله وصوره ودرجاته، ومن سعادة المحسنين أنَّ رحمة الله تتنزل عليهم، ودعوات الناس تكون إليهم؛ ليجازيهم الله بأفضل مما قدَّموا، قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠)، وبشَّر الله المحسنين فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦)، فكلما كان العبد أكثر إحساناً، كان أقرب إلى رحمة الله.

وعن أسامة بن زيد –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٩٠ (بتصرف يسير).

وسلم: ((وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[1]، ففاز الراحمون برحمة أرحم الراحمين.

ومن سعادة المحسنين محبة الله لهم، قال تعالى: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٨).

يتذوَّق المحسنون السعادة في دنياهم قبل أجرهم العظيم في أخراهم، دلت على ذلك كثير من الآيات، منها ما قصه الله عن نبيه موسى –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام– لمَّا أحسنَ إلى الناس أحسن الله إليه؛ فأطعمه وآواه وزوَّجه وأسعده وأغناه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ (القصص: ٢٣ – ٢٤)، فكانت النتيجة والعاقبة موصوفة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ (القصص: ٢٧)، ولمّا سار بأهله فاز بشرف الرسالة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (القصص: ٣٠).

قال البغوي –رحمه الله: ((من جانب الوادي الذي عن يمين موسى، {فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} لموسى، جعلها الله مباركة لأنَّ الله كلَّم موسى هناك وبعثه نبيًا))[2].

---

(١) صحيح البخاري ٤٣١/١، (واللفظ له)، كتاب: الجنائز، باب: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه، رقم الحديث [١٢٢٤]، صحيح مسلم ٣٩/٣، كتاب: الجنائز، باب: البكاء على الميت، رقم الحديث [٢١٧٤].

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٢٠٦/٦.

وتلك عاقبة الإحسان، إيواء بعد عدم، وإطعام بعد جوع، وزوجة وبيت كريم بعد تشرد وخوف من القتل، ثمَّ تشريفٌ بالنبوة والرسالة، وهكذا لا يضيع الله أجر المحسنين، وقال تعالى عن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (هود: ١١٥)، وهذا الحفظ لأجورهم وعدم إضاعتها يذكر في هذا المقام على وجه التخصيص والتشريف الزائد لهم، قال الطبري –رحمه الله: ((فإنَّ الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوَفّره أحوجَ ما يكون إليه))(١).

ويسعد الله المحسنين بمغفرة ذنوبهم والتجاوز عنهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْراً؟! فَقَالَ: ((فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ))(٢).

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٥٢٦/١٥.

(٢) صحيح البخاري ٨٣٣/٢، (واللفظ له)، كتاب: المساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم الحديث [٢٢٣٤]، وصحيح مسلم ٤٤/٧، كتاب: السلام، باب: فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث [٥٩٩٦].

**وعَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلىَ اللهُ عَليهِ وَسلَّم: ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ تُكْتَبُ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الشَّوْكَةَ وَالْحَجَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الضَّالَّ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))**[1].

**قطع هذا الحديث الحجة على من يحتج بعدم تمكنه من الإحسان بسبب الفقر أو المرض أو نحوه؛ وذلك لحثه على فعل الخير والإحسان بطُرقٍ متعددةٍ على أقل درجات الوسع والإمكان، فيمكن فعل الخير والإحسان إلى الخلق عن طريق إدخال الفرح والسرور على قلوبهم، أو أمرهم بمعروف أو نهيهم عن منكر، أو إرشاد ضالهم، أو عونهم في حاجاتهم وشئون حياتهم، فمنْ لم يستطع فليمط الأذى عن الطريق، فإن لم يستطع فليتبسم وليظهر البشاشة في وجوه المسلمين، فإن لم يستطع ولم يجد من ذلك شيء فليتوارَ خلف جدار بيته وفي ذلك خيرٌ للمسلمين؛ إذ هو والأذى سيان.**

**ومن سعادة المحسنين أنَّ الله تعالى يتولى تفريج همومهم وتيسير أمورهم، فعند أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:**

(١) البخاري في الأدب المفرد ٣٠٧/١، باب: من هدى زقاقاً أو طريقاً، رقم الحديث [٨٩١]، صحيح ابن حبان ٢٢١/٢، كتاب: البر والإحسان، باب: حسن الخلق، رقم الحديث [٤٧٤]، سنن الترمذي ٣٣٩/٤، كتاب: البر والصلة، باب: صنائع المعروف، رقم الحديث [١٩٥٦]، شعب الإيمان للبيهقي ٢٢٠/٣، الباب: الثاني والعشرون، رقم الحديث [٣٣٧٧]، (واللفظ له)، مسند البزار ١٠٨/٢، مسند أبي زر، رقم الحديث [٤٠٧٠]، وقال الشيخ الألباني: حسن، انظر: السلسلة الصحيحة ١١٦/٢، رقم الحديث [٥٧٢].

**((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))**[(١)]**، والحديث طويل ولكن الشاهد منه فضل من يقوم على حوائج المسلمين.**

**قال النووي –رحمه الله: ((هذا حديثٌ عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب، ومعنى نفَّس عن مؤمن كربة أزالها؛ وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علمٍ أو مالٍ أو معاونةٍ أو إشارة بمصلحةٍ أو نصيحةٍ وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وفضل إنظار المعسر))**[(٢)].

**وعَنْ عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**[(٣)].

**يتولى الله عز وجل حاجة من كان ساعياً في حوائج الناس، ويفرج ربُّ**

---

(١) صحيح مسلم ٧١/٨، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث [٧٠٢٨].

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم للنووي ٢١/١٧.

(٣) صحيح البخاري ٨٦٢/٢، (واللفظ له)، كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث [٢٣١٠]، صحيح مسلم ١٨/٨، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث [٦٧٤٣].

**العزة والجلال كربات من يحسن لمسلم مكروب، وورد في معنى الحديث: ((أي: من كان ساعياً في قضاء حاجة أخيه؛ وفيه تنبيه نبيه على فضيلة عون الأخ، وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جلب المنافع ))**[1].

**ويسلم المحسنون من مصارع السوء –وما أكثرها في هذا الزمان– دل على ذلك ما رواه أبو أمامة –رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صَنَائِعُ المعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُوءِ وَصَدَقَةُ الّسِرِ تُطْفِئُ غَضَبَ الَّرَبِّ وَصِلَةُ الرَحِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ))**[2].

**المحسنون قومٌ أحبهم الله، وجعل رحمته قريبة منهم، وفي الإحسان إسعاد للناس، وأوَّل المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بذلك الإسعاد؛ يجنون ثمار الإحسان عاجلاً في أنفسهم، وحسن أخلاقهم، وفي أموالهم وأولادهم؛ فيدركون حقيقة أثر الإحسان على النفس، فإذا طاف بك طائف من همٍّ، أو ألمَّ بك غمٌ وأردت السعادة والتخلص من همك فامنح غيرك**

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٥٧٥/٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢١٣/١، كتاب: العلم، فصل في توقير العالم، رقم الحديث [٤٢٩]، المعجم الكبير للطبراني ٢٦١/٨، (واللفظ له) رقم الحديث [٨٠١٤]، شعب الإيمان للبيهقي ٢٤٤/٣، الباب: الثاني والعشرون، الاختيار في صدقة التطوع، رقم الحديث [٣٤٤٢]، وضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٣٥/٤، رقم الحديث [١٩٠٨]، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد برواية أبي أمامة رضي الله عنه، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٩٣/٣، باب: صدقة السر، رقم الحديث [٤٦٣٧]، ن/ دار الفكر، بيروت (١٤١٢ هـ).

معروفاً، وأسدِ له جميلاً؛ وفرِّج عنه همّاً، تجد الراحة والسعادة، تذوَّق السعادة من خلال إسعادك للآخرين؛ فإنَّ فعل الخير يفوح شذاه مسكاً؛ فينفع صاحبه وحامله وبائعه ومشتريه، وإنَّ عوائد الخير النفيسة وتوزيع البسمات المشرقة علي فقراء الأخلاق والوجوه العابسة؛ لهي صدقة عظيمة في عالم القيم، تتلألأ فوق هامات عظماء الناس.

## المطلب التاسع: عدم التقليد وتجنب الذيلية:

**التقليد لغة:**

تَعلِيقُ شَيءٍ على شَيءٍ وَلِيِّه به، وَمِنْه تَقلِيدُ البُدنَة، وَذَلِك أنْ يُعلَّقَ فِي عُنُقها شَيءٌ لِيُعْلَمَ أَنَّها هَدْيٌ، وَأَصلُ القَلْدُ: الفَتْلُ، يُقَالُ: قَلَدْتُ الحبلَ أقلِدُه قَلْداً، إذا فتَلْتَه، وَحَبْلٌ قَلِيدٌ وَمَقْلُود، وَتَقَلَّدْتُ السَّيفَ، وَمُقَلَّدُ الرَّجُل: مَوضِعُ نِجَادِ السَّيف عَلى مَنْكِبه[١].

**التقليد اصطلاحاً:**

اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة فيه، من غير نظرٍ، وتأملٍ في الدليل، كأنَّ هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه، وعبارة عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل[٢].

يظهر الربط بين التعريفين في التبعية، فالتقليد لغة عبارة عن شيء يلي الآخر ويصاحبه، ولا ينفك عنه كالقلادة على العنق، وفي الاصطلاح كأنّ المقلد

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/١٩، باب: (القاف واللام والدال، قلد).
(٢) التعريفات للجرجاني ١/٩٠.

اتبع قولاً أو فعلاً فلزمه كما تلزم القلادة صاحبها.

ويفهم من المعنى الاصطلاحي أنَّ الإنسان العاقل قادر على صنع قراره الذاتي بنفسه، من غير تدخل لأي طرف آخر، ويلزم من عدم التقليد الاستقلال بالرأي، وعدم التبعية العمياء للآخرين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان: ٢١).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣– ٢٤).

قال المفسرون: ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين (إنا وجدنا آباءنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون) (أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ) أيها القوم من عند ربكم (بِأَهْدَى) إلى طريق الحق، وأدلَّ لكم على سبيل الرشاد (مِمَّا وَجَدْتُمْ) أنتم عليه آباءكم من الدين والمِلَّة، (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذّبة رسلها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون، يعني: جاحدون منكرون فعلم من ذلك أن قصدهم اتباع الباطل والهوى))[1].

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢١/٥٨٧، ومعالم التنزيل للبغوي ٧/٢١٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ١/٧٦٤.

يحس بالنقص كل من يحاول تقليد غيره فيما يراه أو ما يسمعه بلا دليل ولا برهان، والسعيد من يعرف الحق بدليله فيتبعه، ويعرف قدر نفسه وقدراتها، فلا يقحمها فيما لا يناسبها، ولم يقسم لها.

إنَّ السعداء يعملون الصالحات وإن خالفهم المخالفون، ويجتنبون القبائح وإن سقط فيها الأكثرون، لا يعرفون الذوبان في شخصيات الآخرين، ولا يتبعون كل ناعق لئيم، ولا يقلدون ما لا خير فيه ولا فائدة من ورائه، بل يسخِّرون مواهبهم وقدراتهم في طاعة ربهم، من خلال عملهم الذي يقنعون به، وقولهم الذي يؤمنون به.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾(المائدة: ١٠٠)، قال الفخر الرازي –رحمه الله: ((الخبيث ولو أعجبك كثرته يمتنع أن يكون مساوياً للطيب، الذي هو المعرفة والمحبة والطاعة والابتهاج بالسعادات))[(١)].

كثيرون هم الذين ينصهرون في شخصيات الآخرين، فيتركون ثوابتهم وعقائدهم، وعاداتهم الصالحة ويغيرون من أصواتهم، وحركاتهم، وكلامهم، ومواهبهم، ومن يفعل ذلك إمَّا أن يصاب بالإحباط، أو بالأمراض النفسية، والعقد المجتمعية.

ومن الذين لا يستقلون برأيهم وفكرهم ما يعرف بالإمِّعة، وهو الذي لا رأي له، يتابع كل أحدٍ على رأيه، ولا يثبت على شيء، ضعيف العزم، لا تفكير له ولا تعبير، ولا رأيَ ولا قرار، إن أحسن الناس أحسن، وإن أساؤوا أساء.

عن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٤٤١/١٢.

**عليه وسلم: ((لاَ تَكُونُوا إِمَّعَة[1] تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، ولَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تَحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاؤُوا فلا تَظلِمُوا))[2].**

**والإمعة مفتونٌ بمسايرة الواقع وما اعتاده الناس، وكثير من الناس يستسلمون للتبعية والتقليد، وذلك لأنَّ ضغط الفساد ومكر المفسدين كبير، ولا يقوى الشخص الضعيف على مصارعته.**

(١) الإمعة: هو الذي يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد أنا معك؛ لأنَّه لا رأي له يرجع إليه، تابعاً لدين غيره بلا رؤية، ولا تحصيل برهان انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٦٤/١، وبذلك أشار ابن منظور في اللسان، انظر: ٣/٨، مادة: (أمع)، وللمزيد انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ١٢٣/٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٥٢/٩، باب: العين، رقم الحديث [٨٧٦٥]، جامع الأحاديث للسيوطي ٣٢٧/١٦، رقم الحديث [١٦٩٠١]، سنن الترمذي ٣٦٤/٤، رقم الحديث [٢٠٠٧]، (واللفظ له)، وقال حسن غريب، وأوقفه على ابن مسعود، جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ٦٩٩/١١، رقم الحديث [٩٣٤٩]، ن/ مكتبة دار البيان سنة ١٣٧٢هـ، ت/ بشير عيون، مسند البزار ٤٢٩/١، رقم الحديث [٢٨٠٢]، وذكر الحديث في: شرح السنة للإمام البغوي ٣٢/١٣، تحفة الأحوذي ١٢٣/٦، مشكاة المصابيح للتبريزي ١١٢/٣، رقم الحديث [٥١٢٩]، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق الشيخ الألباني سنة ١٤٠٥هـ، وقال: يصح وقفه على ابن مسعود، وضعَّف الشيخ الألباني رواية حذيفة ينظر: ضعيف سنن الترمذي ٢٢٦/١، رقمه [٦٤]، وضعيف الترغيب والترهيب للألباني ٧٧/٢، رقم الحديث [١٤٩٤] ن/ مكتبة المعارف، الرياض. وأمَّا رواية ابن مسعود – رضي اللّه عنه– المشار إليها، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يكوننّ أحدٌ إمّعة، قيل وما الإمّعة؟ قال الذي يقول أنا مع الناس)).

ينبغي للمسلم أن يأنف لنفسه من أن ينعق مع الناعقين، ويخوض مع الخائضين، ويسدر مع السادرين[١]، ويحمل المباخر للعصاة الظالمين، ويسير في ركابهم، متخليًا عن دينه وعقيدته وجميل أخلاقه ومروءته.

إنَّ الإسلام يرفض أن يكون الإنسان مجرد تابع ومقلد لغيره، بل حثه على أن تكون له شخصيته وذاتيته، وحريته في التفكير والتعبير والتقدير، وقد بيَّن القرآن الكريم خسارة المقلدين وسوء مآلهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك: ١٠).

قال ابن الجوزي –رحمه الله–: ((لو كنّا نسمع أي سماع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من يميز وينظر، ما كنا من أهل النار))[٢].

وأقول لعل من أهم أسباب عدم سماعهم الحق اغترارهم بكثرة الهالكين، فإنَّ من يهتم بكثرة الهالكين لا يفكر في صواب السالكين، وإنَّما يغتر بأقوال الملأ والسادة ضعاف الناس، وكثيراً ما ذم القرآن الملأ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ (ص: ٦) .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الملأ من قريش فعن ابن مسعود رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِى

(١) السادِرُ المتحير الذي لا يَهْتَمُّ لشيء ولا يُبالي ما صَنَع، لسان العرب لابن منظور ٤/٣٥٤، مادة: (سدر).

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٨/٣٢٠.

**مُعَيْطٍ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ))**[1].

**قد يصل التقليد الأعمى عند بعض الناس لدرجة التجرؤ والإقدام على فعل الحرام، والتشبه بالمجتمعات الغربية؛ من اعتقادات فاسدة، أو سلوك مشين في الأخلاق والقيم، أو أعيادٍ باطلةٍ مبتدعة، والتشبه بهؤلاء لا يليق بالمسلم الذي دعاه الإسلام إلى أن يحافظ على شخصيته المتميزة في القول والفعل، والتعامل والسلوك.**

**إنَّ المسلم لا ينساق وراء التقاليد والأعراف المجتمعية الفاسدة المخالفة للشرع، ولا ينقاد للشهوات ولا تؤسر قلبه الملهيات، بل تجده صلباً مستمسكاً بأصول دينه، وسنة نبيه، لا يرضى بالتبعية والذل والهوان، ولا يسلم قيادته لشرار بني الإنسان، مهما اعتصرته الفتن يظل ثابتاً مثل معدن الذهب لا تزيده النار إلا صفاء وبهاء.**

**إنَّ العبد الحازم يدرك أنَّه يعيش في زمان قد حاصرته الشهوات وتنوعت فيه الشبهات، حتى أصبح القابض على دينه المستعصي على مسايرة الواقع في جهاد مرير، ولكن ثوابت عقيدته الراسية في قلبه تحول بينه وبين لباس الزور وتقليد أهل الكفر والمجون.**

**إنَّ المسلم إذا كان إمَّعَة تجده يلهث وراء أباطيل الغَرْب، ليُؤلّف نفسه على خُلُقٍ جديد، ينتزعه من المدنية الأجنبية عنه، وعن دينه.**

**الموفقون في حياتهم ينطلقون بسجيتهم ولا يغيرون من فِطرهم، ولا**

(١) صحيح مسلم ٥/١٨٠، كتاب: الجهاد والسير باب: ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، رقم الحديث [٤٧٥١].

يعدمون استقلالهم، بل يقنعون بأنفسهم ووجودهم في الحياة ولهم رأيهم ودينهم، يهذبون أنفسهم بسنة نبيهم، ويستخلصون أفكارهم من شرع ربهم، ومن يفعل ذلك فستخضع له السعادة في أبهى معانيها.

يجب على المسلم أن يكون فطِناً متبصراً، غير مقلَّد للناس في الجهل والسلوك الذي لا يحقق نفعاً، وليس معنى هذا أن ينأى الفرد بنفسه عن الآخرين، ولكني أقصد أن لا يكون فرداً خاملاً معتمداً على غيره في الرأي والقرار؛ ينتظر من الناس أن يقدموا له كلَّ شيء احتاجه، بل لابد أن يكون عضواً فاعلاً إيجابياً، يجتهد ويعمل ويُفكِّر ويسأل، ولا مانع أن يسترشد بمن هم أكثر منه علماً وتجربة، فالإسلام لا يرفض الأخذ من الآخرين، ولا الاستفادة من تجارب الأمم وتقنياتها، ولكنه يمنع التقليد الأعمى للعقائد الفاسدة، والأخلاق المنحرفة، التي تسلب المسلم شخصيته المتميزة، وعزه وكرامته.

إنَّ التقليد الأعمى وإعدام الاستقلالية الذاتية مَكمن الهزيمة النفسية، ومسخٌ للشخصية السوية، ولهثٌ وراء السراب، عاقبته تعاسة واضطراب، وقلق واكتئاب، وذلك لأنَّ المقلد الأعمى إنما يتبع بلا هدف سليم، وينطلق بلا سبب رشيد، ويتشبَّع بلا عطاء حميد.

إنَّ الإحساس بالاستقلالية يولِّد في النفس الثقة والترفع عن الدون والصغار، وقد أمر الله المسلم بعدم الذل والهوان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

قال الزمخشري –رحمه الله: ((هي بشارة بالعلو والغلبة، ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أنَّ صحة الإيمان توجب قوة القلب، والثقة بصنع الله، وقلة

**المبالاة بأعدائه))[1].**

**لقد سعد الأنبياء والمرسلون لَمَّا تخلوا عن التقليد الأعمى للآباء، ووقفوا سداً منيعاً أمام الشرك والخرافة، في ثبات ويقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾** (الأنبياء: ٥١ – ٥٤).

**وما سَعِد الصديق وعمر الفاروق وعثمان وعلي، وسائر الصحب الكرام – رضي الله عنهم– إلا بعد أن تخلوا عن معتقدات قومهم الباطلة، وعادات الجاهلية الجاهلة.**

**إنَّ عاقبة الاستقلال بالرأي السديد، تُسعد في الدنيا والآخرة، يجد المرء سعادتها في نفسه، ومع قومه في مجتمعه، ويعرف ذلك كل عزيز برأيه وعقيدته، وأمَّا سعادة الآخرة فقد بينَّها ربُّ العزة والجلال في القرآن حاكياً عن الذين ذهبوا إليه بعد أن خاضوا حروباً ضد المقلدين المفسدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾** (يس: ٢٦ – ٢٧).

**قال القرطبي –رحمه الله– ((تمنى أن يعلموا بحاله، ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته))[2]، اتبع المرسلين ولم يقلد قومه الكافرين، فأورثه الله جنة النعيم، وهكذا عاقبة المتبصرين في أقوالهم وأفعالهم؛ سعادة في الدنيا بطاعة الله**

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١/٤٤٦ (بتصرف).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/٢٠.

والرضا عن النفس، وفي الآخرة بالجنة ورضوان الله.

إنَّ المسلم الواثق من نفسه لا يخضع ولا يلين ولا يقلِّد أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم، إنَّما هو كالطَّوْد الشامخ بين الزَّوَابِع والعواصف، كالجبل الراسي لا تعصف به ريح، ولا يحطمه موج، وهذه حال المسلم الحقّ أمام الفتن والمتغيّرات، يرتقي من ثبات إلى ثبات، وينتقل من طموح إلى طموح، ويزداد تعلّقه بربه وبدينه كلما ازدادت الفتن والشهوات، واذْلَهَمَّت الخُطُوب والنكبات، تجده دوماً في حصنٍ حصين، في ثباتٍ ويقين، حادِيه في ذلكم الثبات سلوك طريق الهدى والرشاد، وإن قلّ سالكوه، والنَّأي عن طريق الضلال والفساد وإن كثر هالكوه.

قصدت بهذا المطلب معالجة مشكلة التقليد المذموم، سواء كان في العقائد أو في الأخلاق أو المعاملات، وذلك لخطر هذا السبيل المهلك للدين ولشخصية كل عاقل سوي، أمّا التقليد المحمود للعلماء، واقتفاء آثار السلف الصالح فلم أتناوله لأنَّ الشرع قد أمر به ولا إشكال فيه، إلا من تفصيلات محلها كتب الفقه والأصول، ولمّا كان التقليد الأعمى شائعاً بين الناس، وهو طريق من طرق الشقاء تم التنبه على خطره.

ويجب أن يُعلم أنَّ الخُلُق الطارئ على النفس لا يرسخ فيها، بل يفسدها ويرديها؛ فيغيّر الثوابت والعقائد، ويدفع وراء المجهول في ظلمات التقليد الأعمى، مهما كان لهذا التقليد من دواعي قد زُيِّنت ببريقٍ ولَمَعانٍ، يأخذ بلُبّ النَّاظرين لأول وَهْلة، ولكنه سريعاً ما يتلاشى ويذهب، فمن أراد السعادة فليسعد بشخصيته التي قسمها له الخلاق العليم، ولينبذ التقليد.

## المطلب العاشر: الثناء الحسن لمن أسدى معروفاً:

**تعريف الثناء لغة:**

**الثَّنَاءُ: الأَمْرُ يُعادُ مَرتين، وأصلُه قَيدٌ للدابةِ ذُو شِقينِ، تُربَطُ بِكُلِ شِقٍّ رِجلٌ وَيُسمَى كُلُّ شِقٍ ثَنَاء[1]، وقيل: وانْثَنَى انعطف، والاسْمُ الثَّناءُ، وأثْنَى ألقى ثَنِيَّتَهُ، وتُسمَى فَاتِحَةُ الكِتَابِ مَثَانِيَ لأَنَّهَا تُثنَى في كُلِّ رَكعةٍ، ويسمى جَمِيعُ القُرْآنِ مَثَانِيَ أيضاً لاقْتِرَانِ آية الرَّحْمَة بآيةِ العَذَاب[2].**

**الثناء اصطلاحاً:**

**الثناء على الشيء فعل ما يشعر بتعظيمه، والثناء ما يذكر عن محامد الناس فيثنى حالاً فحالاً، وأصل الثني العطف، ومنه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر، والثناء لعطف المناقب في المدح[3].**

**وفرَّق المناوي –رحمه الله– بين الثناء والحمد فقال: ((الثناء باللسان على الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية، فهو أعمَّ من الحمد))[4].**

**يظهر من التعريف الاصطلاحي للثناء أنَّه إكثار من المدح والتعظيم، وهو يتفق مع المعنى اللغوي في التكرار، فإنَّ الذي يثني يكرر ويؤكد في مدحه، محبةً في الممدوح وتمجيداً له.**

**ولقد أثنى الله تعالى في كتابه على رُسُله وأنبيائه وملائكته، وأصحاب**

(١) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ١/١٠١.

(٢) مختار الصحاح للرازي ١/٩٠، باب: الثاء (ثني).

(٣) التعريفات للجرجاني١/٩٩، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١/٢٢٤.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ١/٦٤٥.

رسوله صلى الله عليه وسلم، وعباده الصالحين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، مدحهم الله بالمسارعة في الخيرات، وحسن العبادة، والخشوع له جلَّ وعلا، وكذلك مدح عباده الصالحين فقال: ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦١).

ومدح الله تعالى رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، ومن ذلك: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩).

وقال تعالى مادحاً الصحابة الكرام –من مهاجرين وأنصار– والتابعين لهم بإحسان: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠).

إنَّ في ذلكم المدح والثناء من ربِّ العالمين، تربية قرآنية عظيمة تهدينا إلى إحسان الكلام، وإبداء المشاعر الطيبة تجاه من نحب.

إنَّ الذين يذكرون المحاسن والجميل من الأفعال والأقوال حباهم الله نظراً صحيحاً، ونفْساً طيبة، جعلتهم يتأملون ما يشاهدون والله يريد من عباده أن يتأملوا ويتفكروا، وينظروا في بديع خلقه، في سمائه وأرضه، ليصلوا إلى حقائق الإيمان وشكر المنعم المتفضل، فيسعدو، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٥)، وقال عز من قائل: ﴿ قُلِ

﴿ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يونس: ١٠١).

**قال ابن كثير –رحمه الله: ((يرشدُ تعالى عباده إلى التفكر في آلائه، وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكبٍ نيِّرات، ثوابت وسيَّارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دوابّ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وقوله: {وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ} أي: وأي شيء تُجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون))**[1].

**أمر الله عباده أن يتفكروا، والمتفكر يتأمَّل أولاً، ثم يعبِّر تعبيراً جميلاً إن كان نظره صحيحاً، أو يعرض إن لم تجد الآيات إلى قلبه سبيلا، فالتعبير السليم يسبقه التأمل والتدبر.**

**وقال تعالى:** ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٠ – ٢١) ،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٩٩.

وقال سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (عبس: ٢٤ – ٣٢)، أخرج الله من الأرض ما به قوام الحياة، في أجمل طعام وأتم وأشهى غذاء، وأمر عباده أن يتفكروا في تلكم النعم العظيمة، وذلكم الجمال الأخَّاذ.

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ (الروم: ٨).

وهكذا يأمر الله عباده أن يتأملوا في أنفسهم، وما خلق الله في السموات والأرض من آيات شاهدة على عظمته سبحانه وتعالى، ودالة على وحدانيته، وعلمه وحكمته، ليتولَّد في أنفسهم الإيمان واليقين بعظمة الخلاق العليم، ولتتكلم ألسنتهم بالحمد والثناء الجميل لله ربِّ العالمين.

أسعد نفسك بحسن التعبير والتقدير لما يبهجك ويعجبك؛ فإذا أحببت شيئاً أو رأيت ما يسرك فتكلم وعبر عما تكنه ولا تكتم؛ فإنَّ الحياة تزداد جمالاً بتقديرك لها، وإن أحببت أحداً في الله فأخبره، فقد روى المقدام بن معد يكرب –رضي الله عنه– أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَحبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ))[1]، وما ذلك الإفصاح عن المحبة لمن تحب إلا لعظيم أثرها في

(١) البخاري في الأدب المفرد ١/١٩١، باب: إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه، رقم الحديث [٥٤٢]، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٤/١٨٩، كتاب: البر والصلة، رقم الحديث [٧٣٢٢]، صحيح ابن حبان ٢/٣٣٠، باب: الصحبة والمجالسة، رقم الحديث [٥٧٠]، =

**نفس المخبر بها، وعود خيرها لمن أخبر بها.**

**قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾** (يوسف: ١٠١)**، قالها يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لمَّا رأى ما يعجبه من فضل ربه عليه، لم يغفل منن الله عليه، ولم يكتم التعبير الجميل عنها، بل أفصح بذلك أمام إخوته وأبويه، وكان بإمكانه أن يشكو ما وجد من عناء وكرب، وكيد وسجن، ولكنه آثر ذكر الجميل، قال أبو الليث[1] –رحمه الله–: ((لما لقي أباه لم يذكر عنده ما لقي من الشدة، وإنَّما ذكر المحاسن))[2].**

**إنَّ المؤمن دائماً ما يقول خيراً، ويعبر عما يعجبه بأجمل العبارات؛ ليزداد ما يعجبه جمالاً على جماله، ولا تمر اللحظات السعيدة في حياته إلا وهو يعبِّر عن فرحته بها، وهذا من الكرم وجميل الخلق؛ ولكنَّ بعض الناس طبعت قلوبهم على الشحِّ حتى في عبارات الثناء، عند أجمل ما يشاهدون، فتصعب على ألسنتهم الكلمات الجميلة، والعبارات اللطيفة؛ فلا كلمة طيبة تسمع، ولا نظرة معبرة تفهم.**

**كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يظهر إعجابه وتقديره لمن يستحق،**

---

= سنن الترمذي ٥٩٩/٤، باب: ما جاء في إعلام الحب، رقم الحديث [٢٣٩٢]، وصححه الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة ٧٧٦/١، رقم الحديث [ ٤١٧].

(١) أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، علامة من أئمة الحنفية، له تصانيف نفيسة، منها: تفسير القرآن المسمي ببحر العلوم، وعمدة العقائد وبستان العارفين، وخزانة الفقه، وتنبيه الغافلين، مات سنة ٣٧٣هـ، انظر الأعلام للزركلي ٢٧/٨.

(٢) بحر العلوم لأبي الليث ٢١١/٢.

**وكان يمدح أصحابه إذا رأى منهم ما يدعو للمدح والثناء، فلا تمر عليه اللحظات السعيدة إلا وينحتها في ذاكرة التاريخ، ويبقيها خالدة في قلوب المخلصين.**

**ومن ذلك مدحه لأبي بكر وعمر وعثمان وحمزة وغيرهم –رضي الله عنهم– ومن مدحه تسميته لأصحابه بمسميات جميلة كالصديق، والفاروق، وأسد الله وأسد رسوله، وحواري الزبير، وأمين هذا الأمة، ونحو ذلك مما هو مشهور معلوم، وذلك من طيب نفسه، وعظيم خلقه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا المقام أشير –على سبيل المثال– إلى ثنائه على صحابيين في غزوة ذي قرد[(١)] وهما سلمة بن الأكوع، وأبو قتادة رضي الله عنهما.**

**قال سلمة –رضي الله عنه–: ((فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ) قَالَ، ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَهْمَيْنِ؛ سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ[(٢)] رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَة))[(٣)].**

(١) ماء على بعد مسيرة يوم من المدينة مما يلي غطفان وكانت الغزوة في سنة ست، ينظر: معجم البلدان ٣٢٢/٤، ن/ دار الفكر، بيروت، وينظر: سيرة ابن هشام ٢٨١/٢، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧٣/١٢.

(٢) عَلَمٌ لناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تسم به لعضب بها، انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر ١٧٣/٢و٤٤٤، ن/ دار المعرفة، لبنان، ط٢، ت/ على محمد البجاوي وأبو الفضل، وغريب الحديث لابن سلام ٢٠٧/٢.

(٣) صحيح مسلم ١٨٩/٥، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قرد، رقم الحديث =

**قال النووي –رحمه الله: ((هذا فيه استحباب الثناء على الشجعان وسائر أهل الفضائل لا سيما عند صنيعهم الجميل، لما فيه من الترغيب لهم ولغيرهم في الإكثار من ذلك الجميل))[1].**

**وقيل: إنَّما أعطاه من الغنيمة سهم الراجل لأنَّ سلمة كان راجلاً في ذلك اليوم، وأعطاه الزيادة نفلاً لما كان من حسن بلائه لأنَّه استنقذ من الأعداء أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة، وقال قائل من المشركين: ((وأخذ كل شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره))[2].**

**هكذا أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من استحق الإكرام، وأظهر إعجابه وأبدى حسن مشاعره لمن كان له فضلٌ وسبق.**

**إنَّ التعبير عن المشاعر الجميلة يمنح الراحة وينمي الثقة بنفس المثني والمثنى عليه، ويزيد من نعم الله على العباد، ويحرر من ضغوط الكبت وآثارها السيئة على صفاء الحياة، وإنَّ من يطلب السعادة وجمالها يجب أن يظهر تقديره لكلِ شيءٍ حسنٍ جميل تُبصره عينه، أو تسمعه أذنه.**

**ولعلي أجد هذه الآثار الجميلة عند التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾** (الكهف: ٣٩)**، ففي الآية رؤية الجميل، والقول الجميل، وراحة النفس وانشراحها، والاعتراف بفضل الله وشكره، واليقين بالمزيد، قال البغوي –رحمه الله: ((كان الزبير بن العوام إذا رأى من**

---

= [٤٧٧٩].

(١) شرح النووي علي صحيح مسلم ١٨٢/١٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣٠٦/٧.

**ماله شيئاً يعجبه، أو دخل حائطاً من حيطانه قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله))[(١)]، وهذا قول وتعبير جميل، يحبه الله تعالى والصالحون، يقوله المؤمن إذا رأى ما يعجبه، وهكذا يأمر الله بالقول الجميل والثناء الحسن، وعدم الخرس عند رؤية ما يسُر، ولا شك في الأثر الحميد الذي يترتب على الالتزام بتوجيهات القرآن الكريم.**

**إنَّ الناسَ يعجبهم المدح، وإنَّ المواقف الحسنة إذا دونت بعبارات التقدير والثناء فإنها لا تنسى، بل تنقش في سويداء القلوب، وإن العبارات الجميلة تدل على جمال قائلها، وإنَّها لمن طيب نفسه وحسن أصله، وإنَّ الجمال مطلوب في كل شيء، في الأقوال، وفي الأخلاق، والمظهر، والمعاملة، وروى ابن مسعود –رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: ((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))[(٢)].**

**وما من نفس منفوسة إلا وتحب الثناء، وإنَّ من يجود بالثناء وحسن التعبير يبلغ في قلوب الناس منزلة عالية، ويلحظ في أعينهم الرضا والحب، ويجد من الدعوات أخلصها، ومن الكلمات أصدقها، وكل ذلك من السعادة.**

**يسعد من يثني على الناس بكسب قلوبهم؛ وذلك بإدخاله السرور عليهم بحسن عباراته، ولطيف كلماته، وجمال إشاراته، وإنَّ من أفضل الأعمال إدخال السرور على المسلمين، فعن ابن عمر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( ... وَأَحَبُّ الأَعمَالِ إِلى اللهِ تعَالى سُرُورٌ تُدْخِلَهُ عَلى**

(١) معالم التنزيل للبغوي ٥/١٧٢.

(٢) صحيح مسلم ١/٦٥، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث [٢٧٥].

مُسْلِم))[1].

يظفر المثنون على الناس بالنفس الطيبة، ولعلي أستنبط من قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٨)، إنَّ النفس إنْ كانت طيبة أخرجت عبارات طيبة، وإنْ كانت غير ذلك أخرجت ما يناسبها من عبارات تدل على ما بدواخلها، قال الطبري –رحمه الله– في تفسير الآية: ((هذا مثل ضربه الله للمؤمن، يقول: هو طيّب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب، ثمَّ ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة، فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث))[2].

هذه بعض سبل السعادة الحقيقية التي وفقني الله لطرحها، وهي بإذنه سبل ممهدة لتحقيق السعادة، ثمَّ لِيُعلم أنَّ الإنسان كثيراً ما يفكر أنَّ حياته ستصبح أفضل بعد إحدى مراحل عمره؛ مثلاً بعد زواجٍ، أو بعد إنجابٍ، أو بعد بناء منزل، أو شراء عقار، أو استثمار مدر ناجح، والحي لا تنقطع عنه الآمال؛ والحقيقة أنَّه لا يوجد وقت محدد للعيش بسعادة وهناء، فكثيرون هم الذين ملكوا أكثر مما ذكرت، ولكن جانبتهم السعادة، وذلك باعترافهم وواقع حياتهم، والعاقل يترك الأقدار تجري بأمر الله، ولا يشغل نفسه بغير حاضره، فالحياة كلها تحديات ومراحل تحتاج إلى صبرٍ وتحملٍ وجلد، والسعادة رحلة ممتعة في مسيرة الحياة، وليست هي محطة يصل إليها العبد ثم يتوقف عندها؛

(١) المعجم الكبير للطبراني ٤٥٣/١٢، عمرو بن دينار، رقم الحديث [١٣٦٤٦]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٨١/٣، رقم الحديث [١٤٩٤].

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤٩٧/١٢.

**بل تسير السعادة مع الأتقياء حيث تقلبت بهم الحياة؛ ولا راحة تامة متكاملة إلا في دار الخلود، ففي كل مرة تظهر للعبد محنةٌ يجب تجاوزها، وعقبةٌ في الطريق يجب عبورها، وعملٌ يجب إنجازه، أو دينٌ يجب قضاؤه، وهكذا الحياة تتقلب بين أفراحٍ وأتراح، والسعادة تصاحبها ولا تنفصل عنها، وأهل النفوس العالية يتذوقون طعم السعادة ولو كانوا في ضيقٍ أو مرض، شعارهم ودثارهم(١) وعزاؤهم أمر المؤمن كله خير.**

**عَنْ صُهَيْبٍ –رَضِيَ الله عَنهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))(٢).**

**وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمٍّ، وَلا حُزْنٍ، وَلا أَذًى، وَلا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))(٣).**

**قال ابن حجر –رحمه الله: ((الهم والحزن هما من أمراض الباطن، والأذى هو أعم مما تقدم، وقيل: إنَّ الهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله**

---

(١) كل ما يلي الجسد من الثياب فهو شعار، وكل ما يلي الشعار فهو دثار:معجم أسماء الأشياء، للدمشقي ٣٤٩/١ ن/ دار الفضيلة.

(٢) صحيح مسلم ٢٢٧/٨، كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم الحديث [٧٦٩٢].

(٣) صحيح البخاري ٢١٣٧/٥، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرضى، رقم الحديث [٥٣١٨].

**مما يتأذى به، والغم كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده))[1].**

**فما من شيء يصيب المؤمن من هذه المحن إلا كان خيراً له، وذلك بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالواثق بهذا الخير يعيش في سعادة وانشراح، وذلك من إيمانه بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.**

**هذا والله أسأل أن يجعلنا من السعداء وينزلنا نزل الشهداء إنَّه سميع قريب مجيب الدعاء.**

**وصلى الله وسلم وبارك وأكرم وأنعم على عبده ورسول محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

(١) فتح الباري لابن حجر ١٠/١٠٦ (بتصرف).

## الخاتمة

الحمد لله على التمام في البدء والختام، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّد الأنام وصحبه الكرام، البررة الأعلام، ومن على شرعه استقام.

أمّا بعد:

فقد توصلت بعد رحلة طويلة مع هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١) يختلف الناس في مذاهبهم، وفي أعراقهم، ومبادئهم، ومقاصدهم، وغاياتهم، ولكنهم يتفقون في طلب السعادة.

٢) تتباين وجهات نظر الناس في السعادة، وتظل السعادة الحقيقية هي حياة الإيمان وطاعة الرحمن.

٣) عبَّر القرآن عن السعادة بالحياة الطيبة، وطمأنينة القلب، وإصلاح البال، وانشراح الصدر، وسعة الرزق.

٤) لن تتحقق السعادة إلا بعون الله وتوفيقه، فهو المالك لزمامها وحده سبحانه وتعالى.

٥) يحتاج الجسد إلى التغذية الحسية، وكذلك تحتاج الروح إلى التغذية المعنوية.

٦) على قدر الطاعة والعبادة تحل في العبد السعادة.

٧) تنقسم السعادة إلى قسمين: سعادة معنوية قلبية يظفر بها أهل الإيمان، وأخرى حسية يحتاجها جميع الخلق.

٨) أظهر أسباب السعادة الحسيّة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وقوام ذلك المال.

٩) قلوب أهل الشرك والنفاق والكفر نجسة مدنسة بالمعتقدات الفاسدة فلا يمكن أن تملك السعادة.

١٠) محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بلا طاعة ادعاء يرفضه الشرع.

١١) محبة المؤمنين الصادقة تستلزم قضاء حوائجهم وعونهم ومراعاة حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام.

١٢) الاسترجاع النافع عند المصيبة استرجاع القلب، واستشعاره لما أبقى الله عليه من النعم.

١٣) ترك التحسر على الماضي والتعايش مع الحاضر من قوة الإيمان الجالبة للسعادة.

١٤) صاحب الخلق الحسن يجلب السعادة بابتسامته، وصفاء قلبه، وجمال حديثه، وحسن تقديره للناس.

١٥) القناعة لا تنافي التوسع في الكسب والاستكثار من الرزق، والفقير القنوع يحمل قلباً تملؤه السعادة.

١٦) النظر إلى الأسفل في أمور الدنيا دواء لمطامع النفس الأمارة بالسوء.

١٧) الحسد مركوز في طبائع البشر والسعيد من يدافعه.

١٨) الذكر يدحر الشيطان ويرضي الرحمن، ويحي القلب، ويزيل الهم، وإنَّه غراس الجنة.

١٩) شكر الله يحمي النفس من وساوس الإعجاب ويهذبها بخلق التواضع، وما فتئ التاريخ يحكي خسارة دنيا المتكبرين.

٢٠) الفراغ داء يوحش القلب بأحداث الماضي، ليعكر صفاء الحاضر، وأسوأ حالات القلب حين فراغه.

٢١) ليس في حياة المؤمن فراغ ضائع، ولا ملل قاتل، بل يتنقل المسلم بين أنواع العبادات والقربات.

٢٢) المحسنون قوم أحبهم الله وجعل رحمته قريبة منهم، وقد تذوقوا السعادة من خلال إسعادهم للآخرين.

٢٣) إنَّ عوائد الخير النفيسة وتوزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق والوجوه العابسة لهي صدقة جارية في عالم القيم ترفرف فوق هامات العظماء من الناس.

٢٤) إنَّ التقليد الأعمى وانعدام الاستقلالية الذاتية مَكمن الهزيمة النفسية، ومسخٌ للشخصية السوية، ولهثٌ وراء السراب، عاقبته تعاسة واضطراب، والسعيد يتبع ما جاء به الشرع.

٢٥) سعد الأنبياء والمرسلون لَمَّا تخلوا عن التقليد الأعمى للآباء، ووقفوا سداً منيعاً أمام الشرك والخرافة.

٢٦) التعبير الحسن عن المشاعر الجميلة يمنح الراحة النفسية، ويحرر من ضغوط الكبت وآثارها السيئة على صفاء الحياة.

٢٧) يعيش المسلم في سعادة واطمئنان، وإن أصابته شدة وبلاء، وليست السعادة محطة ينتهي إليها الإنسان؛ بل هي رحلة طويلة ماتعة، ملازمة للمسلم في جميع الأحوال والأوقات.

# فهرس المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- أبجد العلوم – صديق القنوجي، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٧٨م)، ت/ عبد الجبار زكار.
- الاحتجاج بالقدر – ابن تيمية، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، (١٣٩٣هـ).
- إحياء علوم الدين – الغزالي، ن/ دار المعرفة، بيروت.
- الأدب المفرد – البخاري، ن/ دار البشائر الإسلامية بيروت، (١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩م).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم – أبو السعود، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – الشوكاني، ن/دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤١٩هـ) ت/الشيخ أحمد عزو.
- الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر ، ن/ دار الجيل بيروت، ط١ (١٤١٢هـ)، ت/ علي محمد البجاوي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – الشنقيطي، ن/دار عالم الفوائد، مكة، ط١(١٤٢٦هـ)، ودار الفكر، بيروت، (١٤١٥هـ).
- الاعتقاد – البيهقي ، ن/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١ (١٤٠١هـ).
- الأعلام – خير الدين الزركلي، ن/ دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ (١٩٨٠م)، وط٧، (١٩٨٦).

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – الجزائري، ن/مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط٥ (١٤٢٤).
- بحر العلوم – السمرقندي ، ن/ دار الفكر، بيروت، ت/ دكتور محمود مطرجي.
- البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ت/عادل أحمد وعلى محمد معوض.
- البداية والنهاية – ابن كثير، ن/دار المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض (١٩٧٨م).
- بستان العارفين – النووي، ن/ دار الريان، بدون تاريخ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز– الفيروزآبادي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ محمد على النجار.
- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد الحسيني، ن/ دار الهداية، بدون تاريخ.
- التاريخ الصغير – البخاري، ن/دار المعرفة، بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ)، ت/ محمود إبراهيم زايد.
- التاريخ الكبير – البخاري، ن/دار الفكر، بيروت، ت/ السيد هاشم الندوي.
- التحرير والتنوير – ابن عاشور، ن/دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (١٩٩٧م).
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – المباركفوري ن/دار الكتب العلمية، بيروت.

- تذكرة الحفاظ – الإمام شمس الدين الذهبي، ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- تسمية فقهاء الأمصار – أحمد النسائي، ن/دار الوعي، حلب، ط١ (١٣٦٩هـ) ت/محمود زائد.
- التعريفات – الجرجاني، ن/دار الكتاب العربي (١٤٠٥هـ)، بيروت، ت/إبراهيم الأبياري.
- تفسير الجلالين – المحلى والسيوطي، ن/ دار الحديث، القاهرة، ط١.
- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير، ن/ دار طيبة، ط٢، (١٤٢٠هـ)، ت/ سامي سلامة.
- تفسير روح البيان – إسماعيل الاستانبولي ، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ (١٩٩٦م).
- تقريب التهذيب – ابن حجر ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤١٥هـ).
- تهذيب الكمال – يوسف المزي، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).
- التوقيف على مهمات التعاريف – محمد المناوي، ن/دار الفكر، ط١(١٤١٠هـ) ت/ محمد رضوان.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي، ن/مؤسسة الرسالة ط١(١٤٢٠هـ) ت/عبد الرحمن اللويحق.

- الثقات – محمد بن حبان البستي، ن/دار الفكر، بيروت، ط١ (١٣٩٥هـ) ت/السيد شرف الدين.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول – ابن الأثير، ن/ مكتبة دار البيان، (١٣٧٢هـ) ودار الفكر (بدون تاريخ) ت/ بشير عيون.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن – الطبري، ن/مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ)، ت/ أحمد ومحمود شاكر.
- جامع الرسائل – ابن تيمية، ن/ دار العطاء، الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، ت/ محمد رفيق.
- الجامع الصحيح – البخاري، ن/دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط ٣، (١٤٠٧هـ).
- جامع العلوم والحكم – ابن رجب، ن/دار المعرفة، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ).
- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ، ن/ دار عالم الكتب، الرياض، ت/ هشام سمير البخاري، ون/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي–، ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ) ت/ محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود.
- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود – ابن قيم الجوزية، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤١٥).

- حياة والألباني وآثاره وثناء العلماء عليه – محمد الشيباني، ن/ مكتبة السداوي، القاهرة ( ١٤٠٧هـ).
- الدر المنثور – السيوطي، ن/ دار الفكر، بيروت، (١٩٩٣م).
- درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية، ن/دار الكنوز الأدبية، الرياض (١٣٩١هـ)،ت/محمد رشاد.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – ابن حجر، ن/مجلس دائرة المعارف العثمانية، (١٣٩٢هـ) ت/ محمد عبده.
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج – السيوطي، ن/دار ابن عفان، الخبر، ط١ (١٤١٦هـ) ت/الحويني.
- ديوان أبي العتاهية – أبو العتاهية، ن/دار صادر، بيروت، ط١ (١٤٢٤هـ).
- ديوان الإمام الشافعي – الإمام الشافعي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت.
- ديوان الحطيئة – الحطيئة، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ( ١٤١٣هـ)، ت/د. مفيد محمد قميحة.
- ديوان المعاني – أبو هلال العسكري، ن/ دار الجيل، بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – الألوسي، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين – ابن القيم، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢هـ).
- رياض الصالحين – النووي، ت/ الدكتور/ ماهر ياسين الفحل، وأخرى ن/ المكتب الإسلامي.

- زاد المسير في علم التفسير – ابن الجوزي، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ (١٤٠٤هـ).
- زاد المعاد – ابن القيم، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٥هـ).
- الزهد – ابن المبارك، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ حبيب الأعظمي.
- الزهد وصفة الزاهدين – ابن الأعرابي، ن/ دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١(١٤٠٨هـ) ت/ مجدي السيد.
- الزهد والورع والعبادة – ابن تيمية، ن/مكتبة المنار، الأردن، ط١ (١٤٠٧هـ) ت/حماد و عويضة.
- سبل السلام – الصنعاني، ن/مكتبة مصطفى الحلبي، ط٤ (١٣٧٩هـ).
- السراج المنير – الشربيني، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدن تاريخ.
- السلسلة الصحيحة – الألباني، ن/ مكتبة دار المعارف، الرياض.
- سنن ابن ماجه – أبو عبد الله القزويني، ن/ دار الفكر، بيروت، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي.
- سنن أبي داود – أبو داود، ن/دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- سنن الترمذي – الترمذي، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون.
- سنن الدارمي – الدارمي، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت، ( ١٤٠٧هـ)، ت/ فواز أحمد وخالد السبع.
- سنن النسائي – النسائي، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١هـ) ت/د. عبده البنداري.

- سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهبي، ن/مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، (١٤١٣هـ)، ت/شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوس.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – العكري الحنبلي، ن/دار ابن كثير، دمشق (١٤٠٦هـ) ت/عبد القادر ومحمود الأرنؤوط.
- شرح السنة – البغوي، ن/المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ) ت/شعيب الأرنؤوط والشاويش.
- شرح النووي على صحيح مسلم – النووي، ن/دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ (١٣٩٢هـ).
- شرح حديث لبيك – ابن رجب، ن/ دار عالم الفوائد، مكة، (١٤١٧هـ).
- شعب الإيمان – البيهقي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٠هـ).
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – ابن القيم، ن/مكتبة الرياض الحديثة، ط١، (١٣٢٣هـ).
- الشمائل – الترمذي، ن/ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤١٢هـ).
- الشمائل الشريفة – السيوطي، ن/ دار طائر العلم، ت/ حسن باحبيشي.
- صحيح ابن حبان – ابن حبان، ن/مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ) ت/شعيب الأرنؤوط.
- صحيح ابن خزيمة – ابن خزيمة، ن/المكتب الإسلامي، بيروت، (١٣٩٠هـ) ت/د. محمد مصطفى.
- صحيح مسلم – الإمام مسلم، ن/دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت.

- الصّفَدِيَة – ابن تيمية، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ)، ت/ محمد حسن إسماعيل.
- الصلاة وحكم تاركها – ابن القيم، ن/ دار ابن حزم، بيروت، (١٤١٦هـ) ت/ بسام عبد الوهاب.
- ضعيف الترغيب والترهيب – الألباني، ن/ مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ.
- طبقات الحفاظ – السيوطي، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٣هـ).
- طبقات الشافعية – أبو قاضي شهبة، ن/عالم الكتب، بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ).
- طبقات المفسرين – الأدنروي، ن/مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١(١٩٩٧م) ت/سليمان الخزي.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين – ابن القيم، ن/ مكتبة ابن القيم، الدمام، (١٤١٤هـ)، ت/عمر محمود.
- العبودية – ابن تيمية، ن/المكتب الإسلام، بيروت، ط٧، (١٤٢٦هـ) ت/محمد الشاويش.
- عدة الصابرين – ابن القيم، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ت/ زكريا يوسف.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود – العظيم آبادي، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤١٥هـ).

- غريب الحديث – ابن سلام، ن/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٣٩٦هـ)، ت/ د. محمد خان.
- الفائق في غريب الحديث والأثر– الزمخشري، ن/ دار المعرفة، لبنان، ط٢، ت/ على البجاوي وأبو الفضل.
- الفتاوى الكبرى– ابن تيمية، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٨هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر، ن/دار المعرفة، بيروت، (١٣٧٩هـ) ت/أحمد حجر.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية – الشوكاني، ن/ دار الفكر، بيروت.
- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد – عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ن/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٤، (١٤١٩هـ).
- الفردوس بمأثور الخطاب – الهمذاني، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)، ت/ السعيد بن بسيوني زغلول.
- الفروق اللغوية – العسكري، ن/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، (١٤١٢هـ).
- الفوائد – ابن القيم، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٣٩٣هـ).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير – المناوي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م).

- القضاء والقدر – العثيمين، ن/ دار الوطن، بدون تاريخ.
- القضاء والقدر ومسئولية الإنسان – العثيمين، ن/ جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني السعودي، ط١، (١٤١٩هـ).
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة – شمس الدين الذهبي، ن/دار القبلة الثقافية الإسلامية، جدة، ط١ (١٤١٢هـ)، ت/محمد عوامة.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الزمخشري، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت/ عبد الرزاق المهدي.
- كشف الظنون – مصطفى القسطنطيني، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين البرهان فوري، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، (١٤٠١هـ)، ت/ بكري حياتي
- لسان العرب – ابن منظور، ن/دار صادر بيروت، ط١.
- مباحث في علوم القرآن – القطان، ن/ مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، (١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين الهيثمي، ن/ دار الفكر، بيروت، (١٤١٢ هـ).
- مجموع الفتاوى – ابن تيمية، ن/دار الوفاء، ط٣ (١٤٢٦هـ) ت/أنور الباز، وعامر الجزار.
- المحاسن والأضداد – أبو عثمان البصري، ن/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، (١٤١٥هـ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية، ن/ وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ( ١٤٢٨هـ)، ت/ الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال، ومحمد الشافعي.
- مختار الصحاح – محمد الرازي، ن/مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (١٤١٥هـ) ت/ محمود خاطر.
- مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم، ن/دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٣هـ)، ت/ محمد حامد الفقي.
- المدهش – ابن الجوزي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٩٨٥م)، ت/ د.مروان قباني.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – على سلطان قاري، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٢هـ)، ت/ جمال عيتاني.
- المستدرك على الصحيحين – الحاكم، ن/دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١هـ) ت/مصطفى عطا.
- المستطرف في كل فن مستظرف – الأبشيهي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٩٨٦م)، ت/ د. مفيد قميحة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل – الإمام أحمد، ن/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م) ت/ شعيب الأرنئوط وآخرون.
- مشكاة المصابيح – التبريزي، ن/ المكتب الإسلامي، بيروت، ت/ الشيخ الألباني، (١٤٠٥هـ).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – الفيومي، ن/ المكتبة العلمية، بيروت.

- مصنف ابن أبي شيبة – أبو شيبة ، ن/ الدار السلفية، الهند، ت/ محمد عوامة
- معالم التنزيل – البغوي، ن/ دار طيبة ط٤ (١٤١٧هـ) ت/محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش.
- معجم أسماء الأشياء – أحمد مصطفى الدمشقي، ن/ دار الفضيلة، القاهرة.
- المعجم الأوسط – الطبراني، ن/ دار الحرمين، القاهرة، (١٤١٥هـ)، ت/ طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- معجم البلدان – ياقوت الحموي، ن/ دار الفكر، بيروت.
- المعجم الكبير – الطبراني، ن/ مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (١٤٠٤هـ)، ت/ حمدي عبده السلفي.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية – كحالة، ن/مطبعة الترقي، دمشق، ودار صادر (١٣٧٧هـ).
- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، ن/ دار الدعوة، ت/ مجمع اللغة العربية.
- معجم مقاييس اللغة – ابن فارس، ن/ دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ) ت/ عبد السلام هارون.
- مفاتيح الغيب – الفخر الرازي، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢١هـ).
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة– ابن القيم، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت.

- المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني، ن/ دار المعرفة، بيروت، ت/ محمد سيد كيلاني.
- مقاييس اللغة – أبو الحسين بن زكريا، ن/ اتحاد الكتاب العربي، ( ١٤٢٣هـ)، ت/ عبد السلام هارون.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد – ابن مفلح، ن/مكتبة الرشد، الرياض،ط١ (١٩٩٠م) ت/ عبد الرحمن العثيمين.
- منهاج السنة النبوية – ابن تيمية، ن/ مؤسسة قرطبة، ط١، ت/ محمد رشاد
- مؤطأ الإمام مالك – الإمام مالك ، ن/ دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١١هـ).
- النبوات – ابن تيمية، ن/ المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٨٦هـ).
- النجاة النجاة يا عباد الله – أبو بكر الجزائري، ن/ مطبعة الحميضي، بدون تاريخ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير، ن/المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ) ت/طاهر الزاوي و الطناحي.
- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة – السعدي ، ن/ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وصايا العلماء عند حضور الموت – محمد بن عبد الله الربعي ، ن/ دار ابن كثير، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٦هـ، ت/ عبد القادر الأرناؤوط، وصلاح الخيمي
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان، ن/ دار صادر بيروت، ت/ إحسان عباس.

# فهرس الموضوعات

المقدمة ..... ٣٢٣

أهمية الموضوع : ..... ٣٢٤

أسباب اختيار الموضوع: ..... ٣٢٥

أهداف الموضوع:..... ٣٢٥

حدود الدراسة: ..... ٣٢٦

الجهود السابقة: ..... ٣٢٦

منهج البحث: ..... ٣٣٣

تقسيم خطّة البحث: ..... ٣٣٣

المبحث الأول: السعادة في القرآن الكريم وفيه أربعة مطالب ..... ٣٣٥

المطلب الأول: تعريف السعادة وفيه مسألتان:..... ٣٣٥

المطلب الثاني: مسميات ومرادفات السعادة في القرآن:..... ٣٣٨

المطلب الثالث: المفهوم الصحيح للسعادة الحقيقية ..... ٣٤٦

المطلب الرابع: أنواع السعادة وفيه مسألتان: ..... ٣٥٢

أسباب السعادة الحسية: ..... ٣٥٥

هل يحقق المال السعادة ؟ ..... ٣٥٧

**المبحث الثاني: سبل تحقيق السعادة المعنوية وفيه عشرة مطالب..... ٣٦٦**

**المطلب الأول: الإيمان بالله وتحقيق التوحيد:..... ٣٦٦**

**المطلب الثاني: محبة الله ورسوله والمؤمنين: ..... ٣٧٥**

**المطلب الثالث: تحقيق عقيدة الإيمان بالقدر ..... ٣٩١**

**المطلب الرابع: حسن الخلق..... ٤٠٣**

**المطلب الخامس: القناعـة:..... ٤١٥**

**المطلب السادس: الإكثار من ذكر الله وشكره:..... ٤٢٧**

**المطلب السابع: شغل الفراغ وحسن إدارة الوقت:..... ٤٤٢**

**المطلب الثامن: الإحسان إلى الناس واحتساب الأجر ..... ٤٥١**

**المطلب التاسع: عدم التقليد وتجنب الذيلية: ..... ٤٦١**

**المطلب العاشر: الثناء الحسن لمن أسدى معروفاً: ..... ٤٧٠**

**الخاتمة..... ٤٨١**

**فهرس المصادر والمراجع..... ٤٨٤**

**فهرس الموضوعات ..... ٤٩٧**